الفصل الثاني

علم الدلالة البنيوي

رأينا في القسم ٢/١ كيف لخص ماكس هيشت (Max Hecht) بصورة جيدة الموقف الفكري لعلم الدلالة فقه اللغوي التاريخي ونطاق بحثه: فهو من جهة ينتج لنا تصنيفات لأنواع التغير اللغوي، ومن جهة أخرى يحاول تفسير تلك التغيرات على أساس نفسي.

وفي عام ١٩٧٢ اقتبس اللغوي الألماني ليو فايسجربر (LeoWeisgerber) ما قاله هيشت نصا ليكون بداية ينطلق منها في مقالته الجدلية بصورة قوية تحت عنوان (علم الدلالة: هل هو الطريق الخطأ إلي علم اللغة؟) 'Die Bedeutungslehre: ein Irrweg der Sprachwissenschaft?'. ولم يدع فايسجربر لنا مجالا للشك في كيفية الإجابة عن هذا السؤال: ففي حين يأخذ بعين الاعتبار الفائدة العملية للتصنيفات التي خرج بها علم الدلالة المعجمي حتى الآن، فإنه يرى أن التصور النفسي للمعنى خطأ جسيم؛ لأنه يمنع الرؤية السليمة للغة على أنها نظام رمزي. ويمكن أن نجعل مقال فايسجربر الذي سنقدمه بتفصيل أكبر بعد قليل، يمكن أن نجعله أول إعلان نظري عن ظهور علم الدلالة المعجمي البنيوي. وهو المنهج الذي ساد في المرحلة الثانية من تاريخ علم الدلالة المعجمي. وأول إنجاز وصفي كبير لعلم الدلالة البنيوي structuralist semantics هو مصنف يوست ترير (Jost Trier) الذي أنجزه عام ١٩٣١عن تطور مفردات المعجم الألماني في العصور الوسطى. وكما نوهنا سابقا يتزامن صدور هذين المؤلفين المهمين اللذين يؤذنان ببدء عصر جديد مع نشر عملين يمثلان ذروة العصر الذي يسبقه وخاتمته (وهما كتابا كارنوي وشتيرن).

وعلم الدلالة المعجمي البنيوي هو مصدر الإلهام الرئيس للتجديد في البحث في معانى المفردات حتى ستينيات القرن الماضي. وكان قد استوحى أفكاره من التصور البنيوي للغة الذي ينسب في الأساس إلي فردينان دو سوسير (Ferdinand de Saussure). وتظل الطريقة البنيوية في التفكير – كما سنرى في الفصل الرابع – مصدر إلهام: إذ يمكن اعتبار العديد من المقاربات المعاصرة امتدادا للاتجاه الذي بدأه أحد مذاهب علم

الدلالة البنيوي. وينبغي لنا أولا أن نتعرف – بصورة أفضل – على مبادئ البنيوية، وكيف لها أن تؤدي إلى تطورات جديدة، لاسيما أن ثمة اتجاهات عديدة في علم الدلالة البنيوي. وهذا سيكون موضوع الجزء ١/٢. ثم تتناول الأجزاء التالية من الفصل الصور الرئيسة لعلم الدلالة البنيوي كل على حدة.

١/٢- التصور البنيوي للمعنى :

ليتسنى لنا أن نفهم التغير الجذري الذي أحدثته المقاربة البنيوية في مجال علم الدلالة المعجمي فهما تاما، يجب أولا أن نفهم عددا من الخصائص العامة للبنيوية. والفكرة الأساسية هي أن اللغة يجب أن ننظر إليها على أنها نظام وليست بحرا واسعا من الكلمات وحسب. فاللغات الطبيعية أنظمة رمزية لها خصائص ومبادئ، وهذه الخصائص والمبادئ هي بالضبط التي تحدد الكيفية التي تعمل بها العلامة اللغوية علي أنها علامة sign. وحتى نوضح هذه الفكرة وتبعاتها لنلق نظرة على المقارنة بين اللغة ولعبة الشطرنج التي وصفها دو سوسير المؤسس للبنيوية (١٩١٦: ١٢٥–٧).

إن قيمة أي قطعة في لعبة الشطرنج تخضع تماما للعرف والاصطلاح. ولا يمكن فهم أي حركة نحرك بها بيدقا أو رخا بالنظر إلي القطع نفسها، وإنما حسب قواعد اللعبة المتعارف عليها. وكذلك لا يمكن لنا عموما أن نستنتج معاني الكلمات من خلال أشكالها في اللغات الطبيعية. وبالرغم من أن الكلمات المركبة أو التي تحاكي الأصوات الطبيعية يمكن أن نعتبرها أمثلة تناقض هذه الفكرة، فإن شكل المفردة اللغوية عموما اعتباطي خالص. وهذه السمة الاعتباطية للعلامة هي ما يحمل اللغوي على وصف اللغة بأنها نظام اعتباطي أو اصطلاحي من القواعد. واللغات اصطلاحية شأنها في ذلك شأن الممارسات الاجتماعية كأصول اللياقة: فهي لا تنشأ من خلال مباحثات واضحة بين فرد وآخر، ولا هي نتيجة لقرار ديموقراطي، وإنما تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل، ويتم تعديلها إن دعت الحاجة استجابة للظروف المتغيرة.

وإذا عرفنا أن من طبيعة اللغة أن تكون نظاما رمزيا مستقلا عرفا، فإن هذا إذن هو المنظور الذي يتعين على اللغوي أن يتبناه. ووصف قواعد لعبة الشطرنج طريقة كافية ووافية لوصف اللعبة نفسها؛ ولا نحتاج إلي أن نستدعي أي عوامل تقع خارج منظومة

القواعد نفسها (كحالة اللاعبين الذهنية أو المكانة الاجتماعية للعبة الشطرنج مثلا مقارنة بلعبة الدامة) لنشرح كيف تسير اللعبة. وليس مستحيلا بالطبع أن ندرس العوامل الخارجية كالنشأة التاريخية لشكل قطع الشطرنج أو درجة الإبداع التي ينظم بها اللاعبون لعبهم. بيد أن هذه الجوانب لا تلامس جوهر اللعبة؛ أي قواعدها. وبالمثل يجب على اللغوي – في المقام الأول – أن يصف اللغة الطبيعية بصفتها نظاما رمزيا مستقلا. ولأن هذا الوصف لا يحتاج إلى اللجوء إلي عوامل خارج إطار النظام الرمزي نفسه، فإن اللغويات في حد ذاتها يمكن اعتبارها علما مستقلا: إذ لا تستعير منهجيتها من العلوم الأخرى، بل هي علم مستقل بذاته.

أضف إلى ذلك أن صورة لعبة الشطرنج توضح لنا كيف يمكن لنا أن ندرس العلامات اللغوية. فلا يمكن لنا تحديد قيمة قطعة منفردة في لعبة الشطرنج إلا من خلال مجموعة القواعد ككل. والقيمة الوظيفية للبيدق تتضمن الإشارة إلى القيمة الوظيفية للقطع الأخرى: فحقيقة أن البيدق لا يمكن أن يتحرك في العادة إلا مربعا واحدا على رقعة الشطرنج في كل مرة يحدد أهمية البيدق مقارنة بالقطع الأخرى التي لها أن تتحرك مسافات أطول. ولكن كون البيدق يستطيع أن يتحرك باتجاه قطري مائل على اللوح يعوض عن محدودية حركته؛ لأن عددا من القطع الأخرى لا يمكن لها أن تتحرك قطريا. إذن باختصار لا نستطيع أن نقدر قيمة البيدق إلا مقارنة بالإمكانات المتاحة للقطع الأخرى المختلفة. والشيء نفسه ينطبق على النظام اللغوي: فكوننا نستطيع وصف العلامة اللغوية على أنها جزء من ذلك النظام يعني أننا نحدد خصائص العلامة ضمن النظام من خلال علاقاتها بالعلامات الأخرى في ذلك النظام.

ولكن ما تبعات تبني مثل هذه الرؤية للغة؟ يمكن أن نصف النتيجة من ناحيتين: إحداهما إيجابية والأخرى سلبية. فمن الناحية السلبية نجد أن النموذج البنيوي الجديد يرفض بعض المبادئ المهمة التي يقوم عليها علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي: فلماذا يختلف كثيرا عما أتى قبل ذلك؟ أما من الناحية الإيجابية، فإنه يقدم طرقا جديدة لتحليل المعجم: كيف يمكن بالضبط أن تصف علم دلالة اللغة الطبيعية بأنه بنية ؟

١/١/٢- نقد مبادئ علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي :

لنمعن النظر الآن في النقد الذي وجهه فايسجربر (Weisgerber) إلي علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي. والذي يبرز فيه ثلاث نقاط: الأولى أن على علم الدلالة المعجمي أن يرفض التصور النفسي للمعنى، والثانية أن يتبع وجهة النظر التي تفرض دراسة الظواهر في فترة معينة (synchronic outlook) والثالثة أن يتبنى منظورا تعبيريا (onomasiological perspective) بصورة نظامية. وسنتناول الآن هذه النقاط بمزيد من التفصيل.

أولاً: إن التصور النفسي للمعنى الذي يقوم عليه نموذج البحث فقه اللغوي التاريخي يعني من المنظور البنيوي أن وصف المعنى اللغوي ينطلق من أساس خاطئ؛ فالذي يحدد منظور البحث لديهم هو نفسية مستعمل اللغة لا اللغة بصفتها نظاما: إذن يتجاهل علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي حقيقة أن المعاني جزء لا يتجزأ من النظام، وأن قيمتها لا يمكن أن تتحدد بصورة كافية إلا بالنسبة إلى ذلك النظام و ليس إلى نفسية الفرد. أو كما يقول فايسجربر (١٩٢٧: ١٧٠):

"ليست الكلمة مجموعة أصوات يربط المرء بها محتوى نفسيا/ ذهنيا أو قدرا من الواقع الموضوعي، وإنما تتألف من جانبين متحدين لا ينفصلان: جانب صوتي وآخر فكري، نؤولهما من خلال الوظيفة الرمزية. ومعنى الكلمة – والحقيقة أن ذلك شيء غير موجود في الواقع أو على الأقل ليس موجودا بالمعنى الذي يقصد بها – فالمعنى يتأصل في الكلمة بصفته وظيفة لجزئها الصوتي".

فإذا كان معنى الكلمة مفهوما نفسيا أو تمثيلا ذهنيا كما يقول علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي، فهم يقترحون – فيما يبدو – أن الكلمات ما هي إلا مجرد تسميات ألحقناها بذوات أو كائنات ذهنية موجودة مسبقا كالأفكار والمفاهيم. فمعنى الكلمة إذن ليس سمة من سمات النظام اللغوي، وإنما شيء له حقيقة نفسية مستقلة، شيء يستقل في وجوده عن اللغة. وهذا من المنظور البنيوي فهم خاطئ خطأ جسيما؛ لأن المعنى يجب أن يعرف بصفته جزءا من اللغة (و لنكون أكثر دقة: من اللغة بصفتها نظاما) وليس فقط جزءا من حياة الفرد الذهنية.

ثانياً: يترتب على ما ذكرناه أن تركيز الوصف اللغوي سيكون مقيدا بزمن بعينه، وليس وصفا تاريخيا يهتم بتطور الظاهرة على مدى فترات زمنية. والنظام الذي يعنيه البنيويون ظاهرة تحدث في زمن معين: أي أنه بناء يؤدي وظيفته في فترة معينة، وأي تغير في النظام (مثل التغير في قواعد الشطرنج) سيؤذن بالانتقال من فترة إلي أخرى. وإذا كانت مادة الوصف هي النظام وليس عنصرا فرديا، فإن الوصف المقيد بزمن واحد يسبق منطقيا الوصف التاريخي الذي يتناول أزمنة عدة.

ثالثاً: يتحول الاهتمام من العلامة المنفردة إلى العلاقات في النظام ككل. فدراسة العلامة في ذاتها أمر صعب من وجهة النظر البنيوية: إذ لن تجدي معرفة الحركات التي يمكن للبيدق القيام بها ما لم نحدد قيمتها بالنسبة إلى القطع الأخرى. وبصورة أدق نقول: إن قيمة أي عنصر معين تحدد من خلال علاقة التضاد التي تدخل فيها مع العناصر الأخرى؛ والقيمة الدلالية للكلمة تعتمد على البناء الكلي للحقل الدلالي للكلمات الذي تنتمي إليه.

والابتعاد عن العلامة المفردة يعني تحولا من مجال المعنى إلى مجال التعبير. وإذا ركزت دراسة المعنى اللغوي على العناصر الفردية، فستهتم عندئذ تلقائيا بالمعاني المختلفة التي قد تكون لذلك العنصر و في العلاقات الموجودة بين هذه المعاني. ولكن إن ركزت بدلا من ذلك على العلاقة بين العناصر المختلفة في النظام اللغوي، فإن محور الاهتمام سينتقل نحو الكيفية التي تشكل بها جموع الكلمات فكريا عالمها بطريقة معينة؛ أي من اهتمام بتعدد المعاني إلى اهتمام تعبيري بالتسمية.

ويذكر فايسجربر مسميات علاقة القربي ليوضح هذه النقطة. فتبدو الكلمات "أب" و "أم" و "ابن" و "ابنة" كلمات بسيطة نسبيا، ولكننا حتى في هذه الحالة نجد أن التقسيم اللغوي للواقع ليس منطقيا ولا ضرورة نفسية. والفروق بين الجنسين منعكسة في المصطلحات، ولكن كان يمكن للغة من حيث المبدأ أن تكتفي بكلمة واحدة محايدة مثل "والد" دون تذكير أو تأنيث. وعندما يأتي الحديث عن الأحفاد فلا تمييز نراه بين أبناء البنت وأبناء الابن. أما بالنسبة لأخوة الأب والأم فثمة فرق لا تعكسه اللغة: فالألمانية لا تفرق بين أخ الأب وأخ الأم في المسمى.

وهذه الطريقة في تصنيف قربى الدم لا يحددها الواقع هكذا؛ لأن من السهل تخيل أنظمة أخرى. كما لا تحددها نفسية الإنسان، وإلا أظهرت كل اللغات والثقافات النظام نفسه، وهي بالتأكيد لا تفعل ذلك. بل إنك إذا نظرت إلى مراحل أقدم من تاريخ اللغة الألمانية لوجدتها تفرق بين مسمى شقيق الأم "الخال" وشقيق الأب "العم".

تشكل اللغة إذن طبقة فكرية بين العقل والعالم، كما أنها بناء هندسي يمثل ذلك المستوى الوسيط الذي يحتاج إلى التحليل في علم الدلالة اللغوي. ولم يتأثر فايسجربر في تصوره للبنية الداخلية الدلالية للغات الطبيعية بسوسير وحسب بل تأثر كذلك بفلسفة اللغة التي طرحها الفيلسوف الألماني فيلهيلم فون همبولت (Wilhelm von Humboldt) والتي ذكرناها في القسم ٣/٢/١. يقول همبولت بأننا لا ينبغي أن ننظر إلى اللغة على أنها ناتج ثابت، بل قوة دائمة الحركة، يشكل الناس بها عالمهم. والشكل الداخلي للغة يعكس الطريقة الخاصة التي يرى بها متحدثوها العالم. ويساوي فايسجربر رؤيته البنيوية للمعنى اللغوي بصفته تشكيلا للعالم بمفهوم همبولت عن الشكل الداخلي للغة: فالنظام الدلالي للغة (أي الكيفية التي تعين بها الكلمات حدود بعضها البعض) يكاد يفرض بناء فكريا على العالم.

هذا التفسير الهمبولتي لعلم الدلالة البنيوي يماثل ما رأيناه من قبل فيما يتصل ب فوندت ولازاروس وستاينثول، كما يشبه فرضية النسبية اللغوية الشهيرة التي صاغها كل من إدوارد سابير (Edward Sapir,١٩٢٩) وبنيامين وورف (Benjamin L. Whorf, ١٩٥٦; ١٩٣٩) في الفترة نفسها في مجال اللغويات الإناسية والتي تعرف بفرضية سابير– وورف (Sapir-Whorf hypothesis) ومفادها السؤال التالي: هل اللغة حقا تحدد رؤية الناس للعالم؟ سنعود إلي مناقشة التبعات المعرفية لهذا الرأي (الذي لا يتبناه بالضرورة كل الدلاليين البنيويين) ولكننا هنا نحتاج إلى أن نتعرف على النحو الذي تحقق به البرنامج البنيوي.

٢/١/٢- أنماط علم الدلالة البنيوي :

ما المقصود بعلم الدلالة البنيوي من الناحية العملية؟ بالبحث في المواقف النظرية والمناهج الوصفية التي اهتمت بدراسة المفهوم البنيوي للمعنى، يمكننا التمييز بين ثلاثة

فروع لعلم الدلالة البنيوي، وهي: نظرية الحقول المعجمية، وتحليل مكونات المعنى، وعلم الدلالة العلائقي. وسنقدم نبذة مختصرة عن هذه الفروع الثلاثة في هذا الجزء؛ لأننا سنتطرق لها بالتفصيل في الأجزاء التالية من هذا الفصل.

أما الفرع الأول: فهو نظرية الحقول المعجمية (Lexical Field Theory)، وهي نظرية ناتجة عن المنهج البحثي الذي انتهجه العالم اللغوي الألماني فايسجربر (Weisgerber). وتقوم هذه النظرية على أن اللغة تحتل مستوى مفاهيميا يتوسط بين العقل والعالم الخارجي الذي يثري المفهوم المجازي للحقول المعجمية. بمعنى آخر، إذا نظرنا إلى العالم الخارجي على أنه محيط من الكيانات والأحداث، فإن اللغة التي نتحدث بها عندئذٍ سترسم خطوطاً داخل هذا المحيط لتقسمه إلى حقول أو مجموعات من الحبكات المفاهيمية. لذلك، فإن الحقل المعجمي ما هو إلا مجموعة من العناصر المعجمية التي يرتبط بعضها ببعض ارتباطا دلالياً حتي تشكل سوياً بنية مفاهيمية لمجال محدد من مجالات العالم الخارجي.

أما الفرع الثاني: فهو تحليل مكونات المعنى (Componential Analysis)، وهو من المذاهب الرئيسة لعلم الدلالة البنيوي، وهو التطور المنطقي لنظرية الحقول المعجمية، فما أن نحدد العلاقات الداخلية بين عناصر الحقل المعجمي، حتي نكون قد وصفنا هذه العلاقات وناقشناها بالتفصيل. ولا يكفي القول بأن عناصر الحقل المعجمي أزواج من المتقابلات (المتضادات) اللغوية فحسب، بل هي منهجية تشتمل على وصف تلك المتقابلات وتحليلها باستخدام علم الأصوات البنيوي. وسوف نشرح المقصود بالمتقابلات اللغوية لاحقاً. فعلى سبيل المثال، توصف الوحدات الصوتية بنيوياً بحسب المجموعات الصوتية المتضادة (هل هي أصوات احتكاكية أم انفجارية ؟ وهل هي أصوات مهموسة أم مجهورة؟ وهل هي أصوات دائرية أم غير دائرية ... وما إلى ذلك من المتضادات). ويمكن تحديد السمات الخاصة بالكلمات بناءً على الأبعاد التي تشكّل بنية الحقل المعجمي. وفي المثال الذي طرحه فايسجربر (Weisgerber) عن صلات القرابة الاجتماعية، يمكننا القول بأن الأبعاد ذات صلة بجنس الفرد، ونسب الأب والأم، والنسل.

أما الفرع الثالث: فهو علم الدلالة العلائقي (Relational Semantics). وقد قام هذا العلم بتطوير الفكرة التي تصف العلاقات البنيوية بين الكلمات المترابطة وحصر المفردات النظرية التي يمكن استخدامها في وصف تلك العلاقات. ويعتقد أنصار تحليل مكونات المعنى أن السمات الوصفية لمفردات القرابة الاجتماعية هي سمات واقعية؛ لأنها توحي بالصفات الواقعية لما تشير إليه الكلمات الموصوفة في العالم الخارجي. في حين أن المدرسة البنيوية تهتم بدراسة بنية اللغة وليس ببنية العالم الخارجي المحيط بهذه اللغة؛ ولذلك فهي تستخدم نوعاً مختلفاً من الأدوات الوصفية، وهو النوع اللغوي البحت. أما علم الدلالة العلائقي فإنه يبحث عن أدوات على هيئة علاقات معجمية مثل المترادفات (تماثل المعنى) والمتضادات أو المتقابلات (تضاد المعنى). فكلمة عمة وكلمة عم تشيران إلى نسب واحد هو واقع يدل عليه العالم الخارجي. أما كلمة أبيض وكلمة أسود فهما كلمتان متضادتان وهذا واقع تدل عليه اللغة كما تدل الكلمات نفسها.

وإذا نظرنا إلى تاريخ علم الدلالة المعجمي من الناحية الاجتماعية، بدلاً من الناحية المفاهيمية البحتة، فإننا سنلحظ أن الفروع الثلاثة المذكورة آنفاً مواضع جغرافية مختلفة وتسلسل زمني متباين. وتعد نظرية الحقول المعجمية منهجاً قاريا أوروبياً ظهر وازدهر من عام ١٩٣٠م حتي عام ١٩٦٠م، واختصت به أبحاث العلماء الألمان والفرنسيين. أما تحليل مكونات المعنى فقد ظهر في أبحاث الأوروبيين عن الحقول المعجمية وتطور على يد عدد من علمائهم، وهم: أوجينيو كوزيريو (Eugenio Coseriu)، وبرنار بوتييه (Bernard Pottier)، والعالم الجيرداس جريماس (Algirdas Greimas)، وذلك في الستينيات من القرن العشرين. و لقد تناول عدد من علماء اللغويات الإنسانية الأمريكيين منهج تحليل مكونات المعنى في أبحاثهم كما تناولها العلماء الأوربيون، حيث دمجوا منهج تحليل مكونات المعنى مع منهج النحو التوليدي في الستينيات من القرن العشرين.

وعندما بدأ النحو التوليدي يهيمن على فضاء اللغويات النظرية، كان لمنهج تحليل مكونات المعنى تأثير بالغ في التطورات المتتابعة التي طرأت على علم الدلالة، كما سنرى ذلك في الفصل التالي. من ناحية أخري درس العلماء أيضاً علم الدلالة العلائقي،

ومن أبرز هؤلاء العلماء العالم البريطاني جون ليونز (John Lyons)، حيث تميزت أبحاثه التي أجراها في الستينيات من القرن العشرين بدمج منهج تحليل مكونات المعنى باللغويات النظرية والمتمثلة في علم اللغة التوليدي.

ومن المحتمل أن يكون الوصف التوليدي للمعنى المعجمي الذي طوره فيلسوف اللغة الأمريكي جيرولد جي كاتز (Jerrold J. Katz) هو الإطار العملي الذي يتم من خلاله جمع المناهج المختلفة لعلم الدلالة البنيوي دلالياً (منهج الحقول المعجمية وتحليل مكونات المعنى من ناحية، والمنهج العلائقي من ناحية أخرى). وسنتوقف عن الحديث عن هذا الموضوع إلى أن نصل إلى الفصل التالي؛ لأنه يتعلق بمرحلة مختلفة تماماً.

٢/٢- نظرية الحقول المعجمية :

على الرغم من أن العالم فايسجربر (Weisgerber) قد وضع القاعدة النظرية الخاصة بنظرية الحقول المعجمية، فإن أكثر الدراسات تأثيراً في تاريخ هذه النظرية تتمثل في الدراسة العلمية الفردية التي قام بها العالم يوست تريير (Jost Trier) وهي بعنوان المفردات الألمانية في المقياس التصوري الإدراكي: تاريخ الحقول اللغوية، وذلك في عام ١٩٣١م. حيث قام تريير بصياغة نظرية لمنهج الحقول المعجمية، وتقصّى كيفية تطور المصطلحات الخاصة بالخصائص الفكرية في اللغة الألمانية الفصحي القديمة حتى بداية القرن الثالث عشر. ثم قام بعد ذلك بدراسة أخري فردية تناول فيها اللغة الألمانية الوسيطة، وقد أضاف ملحقاً لهذه الدراسة في عام (١٩٣٢م) وعام (١٩٣٤م). ولكن الهدف الذي كان ينشده تريير بتتبع تاريخ الحقول المعجمية في اللغة الألمانية القديمة وحتى اللغة الألمانية المعاصرة لم يتحقق، ولذلك لم تكتمل هذه الدراسة. وسوف نلقي الضوء أولاً على الدراسة التي قام بها تريير، ثم نشرح التطورات التي طرأت عليها.

١/٢/٢- مفهوم تريير للحقول المعجمية :

من الناحية النظرية، يرى تريير أن الرؤية البنيوية الأساسية والتي يمكن من خلالها تخطيط العلاقات المتبادلة بين الكلمات ورسمها، قد تعطي إجابة دقيقة وحاسمة عن القيمة اللغوية لهذه الكلمات. ولا يجب النظر إلى الكلمات بمعزل عن

علاقتها بالكلمات الأخرى، بل يتحتم علينا النظر إليها من خلال علاقتها بالكلمات المرتبطة بها دلالياً. ويعد مفهوم 'التخطيط' مفهوماً فارغاً لا قيمة له حينما يُعمل به دون وجود كيان واحد آخر على الأقل مرتبط بالكيان الأساسي. لذلك ينبغي لتخطيط علاقات الكلمة ورسمها أن يكون مرتبطاً بالكلمات الأخرى. وقد قام ترير بشرح الفكرة وتفسيرها بتشبيهها بلوحة مصنوعة من الفسيفساء، حيث يتم تقسيم عناصر المعرفة البشرية — وهي محتويات الإدراك — إلى عدد من الحقول الصغيرة المتجاورة، بعد تحويلها إلى عناصر لغوية، وهي طريقة مشابهة لطريقة تقسيم الفسيفساء إلى مجموعتين ذات أبعاد ثنائية باستخدام أحجار الفسيفساء المتجاورة. حيث يقول ترير (في كتابه المنشور سنة ١٩٣١م: ص٣):

"الحقيقة أن الكلمة الموجودة داخل الحقل يحيط بها عدد من الكلمات المجاورة في مواضع محددة هي التي تمنح تلك الكلمة المعنى المفاهيمي الخاص بها؛ لأن هذه الخصوصية مستمدة من التخطيط الخاص بتلك الكلمة والكلمات المجاورة لها. ويحدد الموضع الدقيق الذي توضع فيه الكلمة قيمتها اللغوية، وكأنها حجر صغير يوضع بعناية في لوحة الفسيفساء. وكذلك يحدد موضع الكلمة أي جزء من أجزاء المجموعة المعرفية سيتم رسمها وتشكيلها رمزياً".

وكان ترير قد استعار لوحة الفسيفساء ليشبه بها الحقول اللغوية من العالم إيبسن (Ipsen)، الذي رسم هذا التشبيه في بحثه عام (١٩٢٤م)، والذي لم ينل فيه مفهوم الحقول إلا اهتماماً بسيطاً جداً. ويهدف هذا التشبيه إلى الإشارة إلى مجموعة من الكلمات المترابطة من حيث المعنى، حيث تشترك كلمات كل مجموعة في تحديد معاني الكلمات داخل المجموعة نفسها، كما هو حال لوحة الفسيفساء. وإلى جانب العالم إيبسن هناك العديد من العلماء القدامى وعلماء القرن التاسع عشر ممن اهتموا بدراسة الحقول المعجمية. ويؤكد علم الدلالة البنيوي أهمية الدراسة المنهجية لعلم التعبير عن المعاني (Onomasiology)[1].

١) علم التعبير عن المعاني: هو فرع من أبحاث علم المعاجم ينطلق من مفهوم معين من الواقع (شيء، فكرة، ميزة، حركة، ألخ) ويسأل عن تعيينها أو اسمها. (المراجع)

وكما رأينا، فإن أسس علم التعبير عن المعاني لم تكن غائبة تماماً عن علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي. حيث لا يمكننا فهم التغيرات اللغوية المتماثلة بسهولة دون الإلمام بهذه الأسس.

ولمعرفة كيف قام تريير بتحويل هذه الرؤية النظرية إلى ممارسة وصفية، سوف نلقي الضوء على ما قام به هذا العالم في عام (١٩٣٤م)؛ حيث تناول الحقول الفرعية للمفردات التي تهتم بالخصائص الفكرية؛ أي الكلمات التي تدل على المعرفة. ولقد تميزت اللغة الملكية المنمقة في بداية القرن الثالث عشر بثلاثة مفاهيم جوهرية تشير إلى أنواع المعرفة، وهي: (Weisheit) وتعني الحكمة، و(Kunst) وتعني الفن، و(List) وتعني الصنعة. والفرق بين الكلمتين الأخيرتين يعكس لنا البنية المعمارية للمجتمع في القرون الوسطى. حيث تعكس لنا كلمة 'الفن' (Kunst) المعرفة والمهارات الخاصة بالفارس الملكي النبيل (أي، الحب الملكي، وميثاق الشهامة والشرف، والفنون الحرة)، في حين تستخدم كلمة 'الصنعة' (List) للتعبير عن المعرفة والمهارات الخاصة بهؤلاء الأشخاص الذين لا ينتمون إلى العائلات النبيلة (مثل المهارات الفنية للحرفيين). أما كلمة 'الحكمة' فما هي إلا مصطلح عام يستخدمه النبلاء والمواطنون على حدٍ سواء؛ وغالباً ما تستخدم هذه الكلمة في المعاني الدينية والأخلاقية، كما هو الحال مع الكلمة اللاتينية (sapientia) وتعني 'الحكمة'. ويمكن للمرء القول بأن مصطلح 'الحكمة' يشير إلى القدرة العامة على شغل مكانة أحد أفراد المجتمع (أياً كانت هذه المكانة) وذلك بوجود المهارات والمعرفة المناسبة. كما يشير هذا المصطلح إلى أن الأبعاد المختلفة للفن النبيل (the noble kunst) والصنعة المدنية (the civil list) هي جزء لا يتجزأ من النظام الديني الشائع في العالم الخارجي.

وفي القرن التالي، طرأت تغيرات ملحوظة على تقسيم الحقول. فالصنعة (list) — التي اكتسبت تدريجياً معنى سلبيا — كانت تعني 'المكر' و'الفطنة'، وقد تم استبدالها بكلمة (wissen) وتعني المعرفة، وهي كلمة لا تحمل المعنى نفسه الذي يحمله مصطلح 'الصنعة'. أما مصطلحا 'الحكمة' و'الفن' فلهما مجالات مختلفة؛ حيث أصبح مصطلح 'الحكمة' مصطلحاً عاماً يحمل نوعاً محدداً من المعرفة: فبدلاً من القراءة الأصلية، أي الإشارة إلى المعرفة الخاصة بمكانة الفرد في الأمر المقدر إلهياً إلى

جانب المهارات التي تتطلب شغل هذه المكانة، أصبح هذا المصطلح يعني المعرفة الدينية بمعناها الضيق؛ وبعبارة أخري معرفة الإله. أما المصطلحان 'الفن' والمعرفة فيشيران إلى الأشكال والنماذج العليا والسفلى من المعرفة الوثنية المدنسة دون إشارة محددة إلى التمييز الاجتماعي. ولقد نشأ مصطلح 'المعرفة' تدريجياً بالإشارة إلى المهارات المتخصصة كالمهارات الخاصة بالحرفيين، في حين نشأ مصطلح 'الفن' بالدلالة إلى الأشكال والنماذج العلمية والفنية البحتة. ويوضح المثال (المبين في الشكل رقم٢/١) كيفية التطور الداخلي للحقول المعجمية من فترة زمنية إلى أخرى: أي أن الطريقة التي تنتهجها اللغة في تقسيم الواقع تختلف من فترة زمنية إلى أخرى.

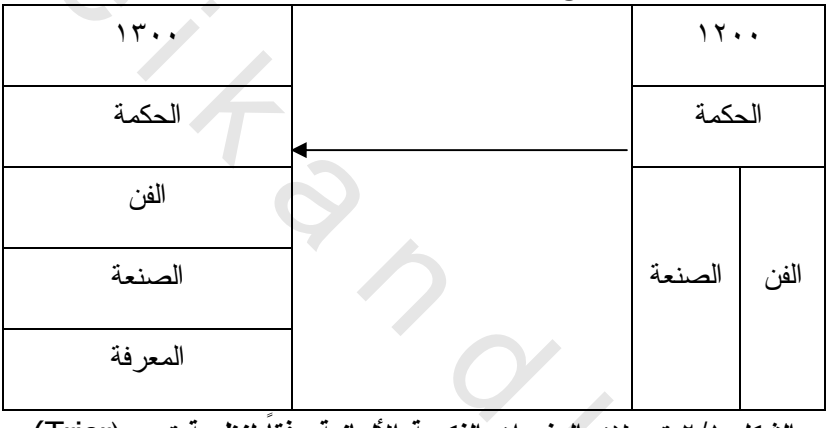

الشكل ٢/١ تحولات المفردات الفكرية الألمانية وفقاً لنظرية ترير (Trier)

إذاً ليس من الغريب أن نقول بأن أول إنجاز رئيسي لهذا المنهج الجديد من مناهج علم الدلالة ينتمي إلى علم اللغة التاريخي. وأن مسألة كون التحليل التتابعي (diachronic analysis)يجب أن يسبق التحليل التاريخي(historical analysis) ليس من مبادئ المدرسة البنيوية. أولاً: عند تناول موضوع يتعلق بالمنهج فقه اللغوي التاريخي، سنري أن مميزات منهج المدرسة البنيوية سوف تظهر بدرجة أوضح من مميزات المنهج فقه اللغوي التاريخي؛ أي في الدراسات القائمة على المنهج التتابعي (diachronic study). وقد أكّد العالم ترير في مقالته التي كتبها عام ١٩٦٨م والتي أثرَت علم الدلالة بمقدمته الإبداعية حول الحقول المعجمية، أكد أن نظرية الحقول المعجمية التي قام بتطويرها نتجت عن الصعوبات التجريبية التي واجهته عند قيامه ببحث علمي عن المعاني التاريخية. وكما نبحث عن يقينه التام بضرورة إيجاد منهج

جديد مختلف لعلم الدلالة، فقد استقى هذه الضرورة من العالم السويسري دو سوسير (de-Saussure) والألماني فايسجربر (Weisgerber). وفي الوقت الذي يعد فيه علم الدلالة التاريخي علماً غير معقد نسبياً عندما يتناول في دراسته الأشياء الملموسة مثل "اليد" أو "الذراع"، فربما كان علماً صعباً ومعقداً عندما يتناول المفاهيم المجردة (كالمهارات الفكرية): وفي مثل هذه الحالة، يعد المنهج المقارن لنظرية الحقول أفضل طريقة للحصول على البيانات التاريخية.

ثانياً: يعد منهج الدراسة التاريخية منهجاً ملائماً ومهماً عند وضع أحد أهم الأسس الجوهرية لعلم الدلالة البنيوي. فلا تتغير المفردات تغيراً كاملاً بسبب التغير الدلالي للكلمات المفردة، ولكن بسبب التغير البنيوي لها. وهذا ما تؤكده الدراسات التي أجراها العالم ترير، حيث قام بتحليل المراحل المتزامنة للغة كل على حده، وذكر أن المفردات تتغير تغيراً بنيوياً من حين إلي آخر.

إذاً، كيف تطورت نظرية تحليل الحقول المعجمية بعد ترير وفايسجربر؟ أولاً: لقيت نظرية الأسس البنيوية ترحيباً على نطاق واسع، وعلى الجانب الأخر ظهرت بعض الانتقادات التي أسهمت في وجود بدائل لنظرية ترير عن الحقول المعجمية. وسوف نذكر هذه الانتقادات هنا باختصار؛ لأننا سنفصّل الحديث عنها في الأجزاء التالية. ويتمثل أول هذه الانتقادات في مسألة التكوين الداخلي للحقول المعجمية. وأما الانتقاد الثاني فيتمثل في الحدود الخارجية للحقل نفسه. وعلى الرغم من أن هذه الانتقادات لم تشمل جميع ردود الأفعال النقدية لنظرية ترير، فإنها قد أسهمت (إلى جانب تمييز الأشياء في الحقل المعجمي والذي سنتطرق إليه في الجزء التالي) في إحداث تنوع وتغير في التطبيقات الوصفية لنظرية الحقول المعجمية. وستتم مناقشة الانتقادات العامة للمدرسة البنيوية أيضاً في الجزء الأخير من هذا الفصل. ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن الجانب الوصفي فقه اللغوي لنظرية ترير قد نال نصيبه من النقد والتعليق، لاسيما النصوص التي قامت عليها دراسته. لقد حصر ترير دراسته في النصوص التي كتبها المعلم الصوفي إيكهارت (Eckehart) والتي كتبها في عام ١٣٠٠م. وهذه النصوص لا تمثل اللغة الألمانية القديمة العليا أو المتوسطة بأي شكل من الأشكال. ولأن

مثل هذه الانتقادات لا يجب أن تقلل من أهمية نظرية تريير، فإننا سنقصر حديثنا هنا على الأسس المنهجية العامة لهذه النظرية.

ومن الانتقادات الهامة التي تعرضت لها نظرية الحقول الدلالية أن مصطلحات هذه النظرية مصطلحات غير ثابتة نسبياً؛ فالمصطلحات: الحقل المعجمي(lexical field) والحقل الدلالي (semantic field) والحقل المفرداتي (word field) هي مصطلحات مترادفة في هذه النظرية. بيد أن ثمة مؤلفين قد رسموا خطوطاً عريضة للتفريق بين هذه المصطلحات. ومن هؤلاء العالم البريطاني ليونز (Lyons)، في كتابه (١٩٧٧م: ص ٢٥٣)، لقد فرّق ليونز بين الحقل المفاهيمي (conceptual field) والذي يشير إلى بنية المفهوم على المستوى الدلالي أو المجال المفاهيمي البنيوي، وبين الحقل المعجمي (lexical field) الذي يشتمل على مجموعة من المفردات اللغوية المعجمية التي تغطي جميع جوانب الحقل المفاهيمي المحدد. وعندما تكون تغطية الحقل المعجمي لجوانب الحقل المفاهيمي تغطيةً غير كاملة، فسيكون هنالك ما يسمى بالفجوة المفرداتية (lexical gap). فمثلاً كلمة 'حصان' (horse) هي كلمة عامة تشتمل على كلمة 'فحل' (stallion) و كلمة 'فرس' (mare)، بينما لا يوجد هنالك كلمة عامة تشمل كلمة 'بقرة' (cow) وكلمة 'ثور' (bull). وعلاوة على ذلك، فلقد رسم العالم ليونز (١٩٧٧م: ص ٢٦٨)، فرقاً بين الحقل المعجمي (lexical field) والحقل الدلالي (semantic field) بناه علي ما إذا كانت مجموعة التعابير التي تغطي جوانب الحقل المفاهيمي المحدد عبارة عن مجموعة من الكلمات فحسب، أم أنها تضم وحدات لغوية أخرى كالتعبيرات الاصطلاحية؟ فالحقل الذي يشتمل على مفهوم 'الغضب' (anger) قد يتضمن تعابير اصطلاحية مثل 'اشتاط غضباً' (boil over) و'ينظر شذراً' (to look daggers)، إلى جانب عدد من المفردات التي تعبر عن مفهوم الغضب بدرجاته مثل 'غيظ' (rage)، و'غضب' (fume)، و'هيجان' (seethe) ونحوها. وهذا الحقل يعد حقلاً دلالياً (semantic) وليس حقلاً معجمياً (lexical). كما رسم العالم ليبكا (Lipka)، في كتابه (١٩٩٠م: ص ١٥٢)، فرقاً اصطلاحياً بين الحقل المفرداتي (word field) والحقل المعجمي (lexical field)، تبعا لكون مجموعة المفردات

المعجمية تحتوي على وحدات صرفية بسيطة، أو أنها تحتوي على وحدات صرفية بسيطة ومركبة في آن واحد.

وهذا التنوع الاصطلاحي ليس تنوعاً اصطلاحياً بحتاً؛ لأنه يتضمن أسئلة جوهرية عن أنواع مفردات الحقل المعجمي. فمثلا هل تحتوي الحقول على كلمات فقط؟ وهل هذه الكلمات تنتمي إلى فئات مختلفة من الكلمات؟ وإذا نظرنا إلى ما هو أبعد من الكلمات، فهل يمكننا أن نضيف تصريفات الكلمات والتعابير التي تتكون من عدة كلمات إلى هذه الحقول؟ لا تقتصر الأسئلة عن البنية الداخلية للحقل المعجمي على نوع العناصر الموجودة داخل الحقل نفسه، بل تتضمن أسئلة عن أنواع العلاقات بين هذه العناصر، وبالتالي يثور لدينا هنا سؤالان جوهريان، أحدهما: إذا كان الحقل المفاهيمي الذي تحدث عنه العالمان تريير وفايسجربر يهتم بالعلاقات الدلالية بين الكلمات المترادفة (أي الكلمات التي تحمل المعنى نفسه في الحقل الواحد)، أفلا ينبغي أن يحتوي الحقل على علاقات منهجية أخرى؟ وأما السؤال الآخر، فهو: هل ينبغي ألا ينصب الاهتمام في هذا الحقل على مبدأ التزامن (co-occurrences) بين المترادفات؟ سنتطرق لهاتين النقطتين بمزيد من التفصيل فيما يلي.

٢/٢/٢- الحقول المعجمية والعلاقات السياقية :

ترتبط مسألة العلاقات التزامنية (co-occurrence relations) بين المترادفات بالفرق الذي توصل إليه العالم سوسير (Saussure) بين المحور السياقي (syntagmatic) والمحور التبادلي (paradigmatic) للغة. يهتم المحور التبادلي بعلاقات التشابه (similarity) بين المترادفات وإمكانية استبدال الكلمة بمرادفها. فإذا نظرنا إلى العلاقات التبادلية من حيث الشكل، نجد أن كلمة (cat) وتعني 'قط' يمكن أن ترتبط بكلمة (mat) وتعني 'سجادة'، ويمكنها أيضا أن ترتبط بكلمة (hat) أي 'قبعة'. ولكن بالنظر إلى المعنى الدلالي للكلمة، نجد أن كلمة (cat) والتي تعني 'قط' ترتبط دلالياً بكلمة (kitten) أي 'هر صغير' وبكلمة (tomcat) وتعني 'ذكر القط'. وأما المحور السياقي فيهتم باحتمالية دخول عنصر معجمي إلى منظومة أكبر تضم عناصر لغوية أخرى: كالمركبات والاشتقاقات في الحقل الصرفي، والعناصر والجمل في

الحقل النحوي. من ناحية أخري فإن العلاقات التبادلية تتكون دائما من المتشابهات والمترادفات 'غير المتزامنة' (off-line similarities). أما العلاقات السياقية فهي التي تستخدم مثل تلك المتشابهات والمترادفات 'المتزامنة' (on-line similarities).

ويقوم الحقل المعجمي بشكل أساسي على العلاقات التبادلية بين المتشابهات والمترادفات. ولكن ألا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات السياقية؟ في الحقيقة هنالك طريقتان يرتبط بهما التحليل السياقي بعلم الدلالة البنيوي:

أولاً: لقد اتضح تدريجياً أن الكلمات قد تحتوي على بعض السمات الارتباطية (أي أن لها قابلية الارتباط مع كلمات أخرى)، الأمر الذي يجعل من وجودها عند تحليل الحقل أمراً طبيعياً. وكانت النظرة لاحتمالية ارتباط الكلمات بكلمات أخرى نظرة بنيوية خالصة. فعلى سبيل المثال، ينظر من الناحية النحوية إلي كلمة (take) أي 'يأخذ' على أنها تندرج ضمن التصنيف البنيوي – أو القسم الكلامي– 'للفعل'، وهذا يعني أنه يمكن ربط هذا الفعل بكلمة اسمية تكون فاعلاً له. ولقد أشار العالم اللغوي الألماني فالتر بورتسج (Watler Porzing)، في عام ١٩٣٤م، إلى أن الربط السياقي يتعلق بأوجه المعنى إلى جانب الصفات النحوية. فإذا سأل شخص شخصا آخر: هل ستذهب إلى المنزل ماشياً أم راكباً؟ سيكون الخيار هنا بين أن يكون الشخص قد ذهب إلى المنزل سارياً على قدميه أو قائداً سيارته؛ أي أن الفعل في هذه الحالة يشير إلى وسيلة أداء الفعل، بمعنى أن الفعل في هذه الحالة يرتبط بالحال أو الظرف وكأن الفعل معرف بالظرف. فمثلاً، نجد أن (travel on horse) تعني 'الركوب على ظهر الحصان'، و (drive a car) تعني 'قيادة السيارة'، و (go on foot) تعني 'المشي سيراً على الأقدام'، وأخيراً (ride a horse) تعني 'ركوب الخيل'. ونرى من الأمثلة السابقة أن كلمة 'ركوب' ترتبط بكلمة 'حصان'، و ترتبط كلمة 'مشي' بكلمة 'الأقدام'، وهكذا. يعنى ذلك أن هنالك بعض الكلمات التي تستدعي كلمات أخرى بموجب الارتباط الدلالي بينهما، مثل حالة الارتباط بين الفعل والحال أو الظرف، وبين الفعل والمفعول به (كالفعل (nod) بمعني 'يومئ' الذي لابد له أن يرتبط بالمفعول به (head) أي 'الرأس'. وكذلك الحال في ارتباط بعض الأفعال بالفاعل (كالفعل

(bark) بمعني 'ينبح' والذي يرتبط بالفاعل (dog, fox) أي 'الكلب' أو 'الذئب'). والأمر نفسه ينطبق على العلاقة بين الصفة والاسم؛ فالصفة (blond) وتعني 'أشقر' ترتبط بصفة لون الشعر. وبصفة عامة، يمكن وصف العلاقات المعجمية الدلالية بين الكلمات المتزامنة من خلال العلاقات المعجمية السياقية، ومقارنتها بالعلاقات المعجمية التبادلية كالمترادفات.

ولقد عرّف العالم بورتسج (porzing) العلاقات المعجمية السياقية وأسماها "علاقات المعني الأساسية" (essential meaning relations)، والتي تعد الأساس في تعريف المفهوم السياقي للحقول المعجمية، حيث ذكر ذلك في كتابه (١٩٣٤م: ص ٧٨)، فقال:

"تضم الكلمة الواحدة كلمة أخرى، وتربطهما علاقة دلالية جوهرية. وجميع المفاهيم التي تتضمنها الكلمة في معناها الضمني أو الصريح هي مفاهيم تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه الذي تنتمي إليه تلك الكلمة".

لقد لقيت العلاقات السياقية اهتماماً أقل من ذلك الاهتمام الذي لقيته العلاقات التبادلية خلال فترة تطور علم اللغة البنيوي. بيد أن هذا المفهوم السياقي قد ظهر بمسميات مختلفة في علم الدلالة البنيوي والتوليدي في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين؛ فنجد أن اللغوي فيرث (Firth) –١٩٥٧م– قد أطلق على هذا المفهوم مصطلح 'الرصف' أو'المصاحبة اللفظية' (collocation)، في حين أسماه العالمان كاتز (Katz) وفودر (Fodor) ١٩٦٣م باسم 'قيود التوارد' (selection restrictions). أما العالم فاينرايش (Weinreich)– ١٩٦٦م– فقد ذكر هذا المفهوم بمسمى 'تحويل السمات' (transfer features)، بينما تطرق إليه العالم كوزيريو (Coseriu)– ١٩٦٧م– وأطلق عليه مصطلح 'التكامل المعجمي' (lexical solidarities).

ثانياً: كانت الطريقة الثانية والتي يمكن للعلاقات السياقية للمفردات المعجمية أن تلعب فيها دوراً في تحليل الحقول المعجمية هي طريقة متطرفة أكثر من كونها طريقة تهتم بالعلاقات المتداخلة بين عناصر الحقل المعجمي؛ إذ تنص على أنه إذا كان للسياق الذي تأتي فيه الكلمة دور في تحديد معناها، فإن ثمة حاجة ملحة لأن يكون لعلم الدلالة البنيوي أسس أكثر منهجية وموضوعية من تلك المذكورة في مؤلفات العالمين

ترير وفايسجربر. ويعتقد علماء المدرسة البنيوية أن العلامات اللغوية (أو الألفاظ) ما هي إلا اتحاد بين الشكل والمعنى، وأي تغير في الشكل لابد أن يلازمه تغير في المعنى، والعكس صحيح. وبالنظر إلى الجانب السياقي، فإن أي تغير في معنى العنصر اللغوي لابد أن يتبعه تغير في توزيع هذا العنصر في السلسلة الكلامية، كما يدل أي تغير في التوزيع اللغوي على تغير في المعنى. فلكل معنى معجمي توزيعه اللغوي المناسب في السياق الكلامي، بينما ينطوي اختلاف التوزيع (distributional difference) على اختلاف في المعنى. وبرسم الاختلافات التوزيعية بين الكلمات المعجمية وتعيينها يمكن أن نتفادى المنهجيات التفسيرية غير الموضوعية للنظريات التاريخية لعلم اللغة الدلالي ولمعظم نظريات الحقول المعجمية. ولقد حاول التوزيعيون (distributionalists) توظيف معايير شكلية لتحديد المعنى بدلاً من الاعتماد على الأسس البديهية.

وتتلخص المنهجية العامة التي اتبعتها الطريقة التوزيعية في المقولة المشهورة التالية للعالم جون روبرت فيرث (John Rupert Firth): "يمكن أن تفسر معنى الكلمة من خلال التعرف على ما يصاحبها من كلمات" (١٩٥٧ب: ص ١١)، وهذا ما أكده العالم هاريس (Harris) في نظريته "الفرضية التوزيعية" (distributional hypothesis) عام ١٩٥٤م، حيث قال: "إن الكلمات التي توجد في سياقات متشابهة لها معانٍ متشابهة". وسنتناول مرة أخرى في الجزء (٣/٢/٤) تأثير منهجية فيرث في تطور دراسات علماء اللغويات النصية لمعاني الكلمات في علم اللغة البريطاني. وبما أننا مازلنا نتحدث هنا عن المراحل المبكرة لعلم الدلالة البنيوي، فإنه ينبغي لنا أن نشير إلى العالم أيبرسجن (Apresjan) والذي تحدث عن التطبيقات المنهجية للمدرسة التوزيعية[1] في كتابه الذي ألفه سنة ١٩٦٦م.

واعتمادا على المادة المعجمية والتحليل النصي، يخلص جون فيرث إلي أن الفعل "يقبل" في الإنجليزية يدل علي معان ثلاثة؛ فهو بمعني "يقبل أو يوافق"، نحو قولهم: "يقبل الالتماس"؛ وهو بمعني "يباشر" نحو قولهم: "يباشر الحالة"؛ وهو بمعني "ينضم"، نحو قولهم: "ينضم إلي الحفلة".

(١) انظر أيضاً كتاب العالم دوبوا (Dubois) والذي ألفه سنة ١٩٦٤م. (المراجع)

ومن ذلك أيضا أن الفعل 'يُلقي' له أكثر من معنى: فتارة يعني 'يقول' وتارة 'يستمع' وتارة 'يرمي'. ويمكن تحديد معنى هذا الفعل بحسب الاسم الذي يأتي بعده؛ أي بحسب السياق. ففي الجملة " ألقى الخطاب" نجد أن الفعل 'ألقى' يعني 'القول'. والفعل في الجملة 'ألقى السمع' يعني 'الاستماع'. أما في الجملة 'ألقى المخلفات' فالفعل هنا يعني 'الرمي'. ونلاحظ تشابه التوزيع اللغوي في الأمثلة الثلاثة السابقة. فكل جملة تبدأ بالفعل (ألقى) ثم ضمير الفاعل المستتر (هو) وتنتهي بالمفعول به (وهو اسم). ومع وجود هذا التشابه في التوزيع اللغوي، فإن معنى الفعل (ألقى) سوف يختلف باختلاف السياق [1].

يعني ما سبق أن الوصف التوزيعي لا يشير مطلقاً إلى التصنيفات النحوية كأنواع الكلمات؛ وذلك لأن الكلمات نفسها يمكن تصنيفها وتقسيمها دلالياً إلى مجموعات. وبحسب الأهداف الموضوعية للمدرسة التوزيعية التي وضعها العالم أيبرسجن، فإن هذه التصنيفات الفرعية الدلالية يجب أن تبنى على معايير غير تفسيرية. ولقد اعتمد أيبرسجن على استخدام البدائل، فاستبدل أسماء العلم بالضمائر. والضمائر تختلف: فمنها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. كما ذكر في كتابه أنه لا يمكننا القول بأن المعنى الواحد يرتبط بسياق واحد، بل إن هنالك مجموعة من السياقات اللغوية التي تختلف من معنى إلي آخر.

وهنالك بعض المشاكل التي تواجه النظرية التوزيعية. ومن هذه المشاكل أن عملية تحديد الضمير الذي يحل محل الاسم هي عملية تقوم على أساس بديهي أو حدسي، فكيف لنا أن نعرف أيا من الضمائر يحل محل الاسم دون استخدام التفسير الحدسي؟ وقد ذكر العالم جون ليونز مشكلة أخرى تتعلق بهذه النظرية في كتابه (١٩٧٧م: ص ٢٦٨). ويمكن شرح هذه المشكلة بالمثالين التاليين: أبى الطعام وامتنع عن الطعام، هنا نلحظ تشابها بين هاتين الجملتين دلالياً، بيد أن فعليّ الجملتين مختلفان من الناحية التوزيعية: فالفعل 'أبى' فعل متعد يحتاج إلى مفعول به، بينما الفعل 'امتنع' فعل لازم. وإذا سلمنا بأن هنالك اختلافا بين الفعلين 'أبى' و'امتنع' من الناحية التوزيعية

(1) معاني الفعل "يلقي" في العربية جيء بها لتوضيح الفكرة بدلاً من نظيره في الإنجليزية (المراجع) .

اللغوية الشكلية، فإن هنالك اختلافا دلاليا بينهما بالضرورة [1]. وقد يختلط علينا الأمر في بعض السياقات، فلا نكتشف أن الفعلين مترادفان. من ثم ينبغي لنا أن نميز بين معاني الكلمات على أساس مستقل؛ أي يجب علينا أن نستند إلى ما هو أكثر من المعايير الشكلية لاكتشاف معنى الكلمة بمعزل عن السياق.

ونشعر من النظرة الأولى لأهداف النظرية التوزيعية بأهمية التعامل مع هذه الأهداف بحذر واهتمام، حيث إن ملامح هذه المنهجية غير واضحة في سياق نظرية المجال المعجمي. ولكننا سنرى في الجزء ٣/٢/٤ التطورات البحثية المعاصرة لعلم الدلالة المعجمي القائمة على المدونة أو مجموعة النصوص اللغوية (corpus-based)، والتي تعد تحولاً منهجياً مختلفاً ومرضياً وأفضل بكثير من المنهج التفسيري الحدسي الذي ينتهجه علماء التوزيع اللغوي.

٣/٢/٢- الحقول المعجمية والعلاقات الشكلية :

من الأسئلة التي اختص بها موضوع تكوين الحقول المعجمية السؤال التالي: هل من الضروري أن تقوم هذه الحقول على أساس العلاقات الدلالية وحدها، أم أن هناك علاقات أخرى تحكم هذه الحقول كالعلاقات الشكلية.

كان العالم دي سوسير قد اهتم في كتابه (١٩١٦م: ص ١٧٤) بشرح العلاقات الدلالية والشكلية بين المفردات المعجمية على حد سواء. غير أن الحقول المعجمية التي وضعها العالم ترير كانت مبنية على العلاقات الدلالية فحسب. أما العالم جيرود (Guiraud) فقد قام سنة ١٩٥٦م بدراسة الحقول المعجمية. وقد اهتم بالعلاقات الدلالية الصرفية بين الكلمات، وهو يتفق إلى حد كبير مع منهجية دي سوسير، والذي يقول بأن مصطلحات كل حقل لغوي ومفرداته ترتبط فيما بينها بروابط شكلية ودلالية. و أن هذه الروابط الشكلية تتفرع إلى فرعين: فإما أن تعتمد العلاقة على التشابه الصوتي، كما بين الكلمتين 'قلم' و 'ألم'، أو أن تعتمد على العلاقات الدلالية والشكلية على حدٍ سواء. حيث يحتوي الحقل المعجمي على مجموعة من الكلمات واشتقاقاتها وتراكيبها الصرفية. وبهذا المفهوم تتحول المفردات اللغوية إلى شبكة من

(١) هذا المثال أيضا من العربية لتوضيح الفكرة وتقريبها إلي ذهن القارئ العربي (المراجع) .

العلاقات، تضم العلاقات الدلالية والشكلية والصرفية والسياقية. وبالرغم من أن هذه الفكرة لم تضف كثيرا إلي مجال تطوير نظرية الحقول المعجمية، فإنها قد لقيت قبول العلماء اللغويين البنائيين واستحسانهم لاحتوائها على العلاقات الدلالية والشكلية بين الكلمات. وتظهر فائدة مثل هذا الاتجاه في الدراسات المتزامنة للظواهر اللغوية، وذلك أن معظم الدراسات التي قام بها علماء اللغة البنيويون في مجال علم الدلالة التاريخي قد شملت دراسة العلاقات الدلالية والشكلية بين الكلمات. ومثال ذلك ما أشار إليه العالم جيرود (Guiraud) إذ ذكر أن الكلمة الفرنسية (maroufle) وتعني 'وغد' يمكن أن تعبر عن كلمة (fat, big tomcat) أي 'القط السمين'، كما أنها تشير إلى معنى كلمة (starch) أي 'مادة النشاء الكربوهيدراتية'، وهي غذاء للقطط. والمعنى الثاني 'مادة النشاء' مبني على العلاقة الدلالية بين 'القط' وبين صفة 'الوغد'. ويمكننا القول بأن هنالك علاقة شكلية بين كلمة 'قط' و 'قد'، انظر الشكل ٢/٢ (مع ملاحظة أن التغير الدلالي لأي كلمة مرتبط بالتغير القياسي). وهنالك العديد من الأمثلة الأخرى التي توضح أهمية دراسة العلاقات الشكلية بين الكلمات والتي نبعت من علم دراسة اللهجات ومن تصنيفات التغيرات الدلالية.

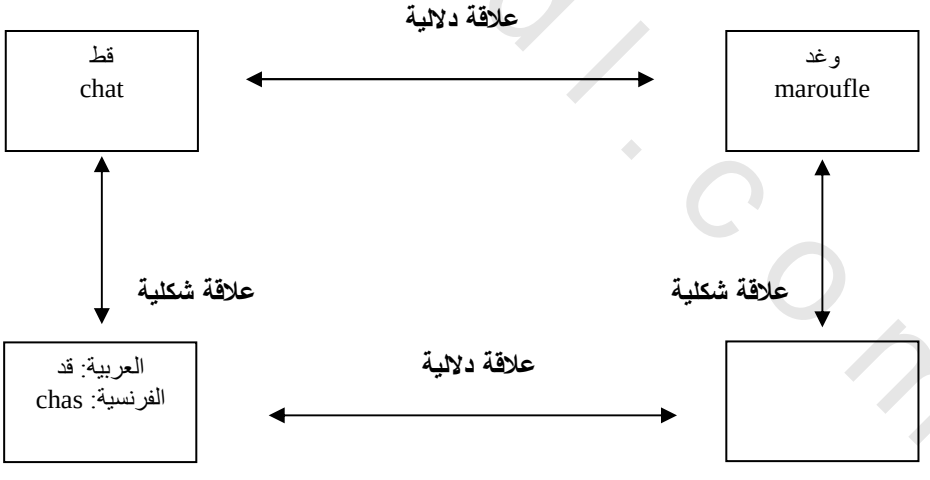

الشكل ٢/٢ عرض مثال العالم اللغوي الفرنسي جيرود (Guiraud) (بتصرف)

ويوضح المثال السابق الذي ذكره جيرود المفهوم البنائي للمفردات اللغوية والذي يحتوي على القيمة الوصفية للغويات التاريخية (والتي أشار إليها تريز)، كما يحمل

قيمة تفصيلية تتمثل في أن العلاقات بين المفردات اللغوية قد تفسر بعض التغيرات الدلالية (وهذا الأمر قد يبدو غريباً للوهلة الأولى). ولقد توسع علماء اللغة البنيويون في دراسة تغيرات المفردات اللغوية حتى توصلوا إلى أن تغير المعني يعد سببا رئيسا في تغير البنية اللغوية. وذهب هؤلاء البنيويون أيضا إلي أن القيمة الأساسية لبعض التركيبات اللغوية تتمثل في أن هذه التركيبات تسمح بحدوث بعض التغيرات، وربما كانت أيضا سبباً لهذا التغير. وهذا ما يحدث عندما يكون التركيب الأصلي للبنية اللغوية غير متوافق مع تغير المعني لسبب أو لآخر. ولقد شرح العالم اللغوي الفرنسي جوليه جيليرون (Jules Gillieron) هذه العملية عند حديثه عن حالات "رفض التجانس اللفظي" (avoidance of homonymy) وهو يعد من أوائل من اهتموا بالمتجانسات اللفظية (انظر الكتاب الذي ألفه جيليرون مع العالم روكيس سنة ١٩١٢م). وأول من تبنى هذه الفكرة هم البنيويون، ثم نادى بها علماء علم الدلالة البنيوي لإثبات أهمية نظريتهم. وتقوم فكرة رفض التجانس اللفظي على مبدأ أساسي يتمثل في رفض استخدام المتجانسات اللفظية إذا كان لاستخدامها دور في ضعف المعنى أو بنية الجملة.

ولنضرب لذلك مثلا باللهجة الإقليمية الجاسكونية في منطقة جنوب غرب فرنسا والتي تستخدم بعض الألفاظ اللاتينية مثل (gallus) وعربيها 'الديك'، و (cattus) وعربيها 'القط'. ونجد أن الكلمتين اللاتينيتين متجانستين لفظياً. وبسبب بعض القواعد الصوتية لتلك اللهجة استخدمت الكلمة (gat) لتحل محل الكلمتين السابقتين. ولأن هذا التجانس اللفظي لا يناسب المجتمع الزراعي الفرنسي، فقد تم تغيير كلمة (gat) بكلمة (azan)؛ وهي كلمة عاميّة تطلق على طائر الحجل؛ وبكلمة (bigey) وهي كلمة تطلق أيضاً على نوع من أنواع الطيور. والكلمة الثانية (bigey) تطابق في معناها كلمة (vicaire) أي 'الكاهن أو القسيس'– انظر الجزء ١/٥/٢. وترينا الخريطة في الشكل ٣/٢ وصفاً لتوزيع تلك الكلمات توزيعا جغرافياً. ويمثل الرمز (I) المنطقة الباسكية، والرمز (II) المنطقة الكاتالونية. والخطوط المنقطة هي التي تفصل بين المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية. ففي المنطقة الجنوبية كان الاستخدام للمصطلح الأصلي (gallus) أي 'الديك' والذي تم استبداله بالمصطلح (faisan) ، ثم بكلمة (vicaire)، ثم بكلمة (poule) والمشتقة من اللاتينية (pullus). ولقد اقتصر استخدام الكلمة اللاتينية (pullus) على المناطق الحدودية خارج نطاق تلك المنطقة.

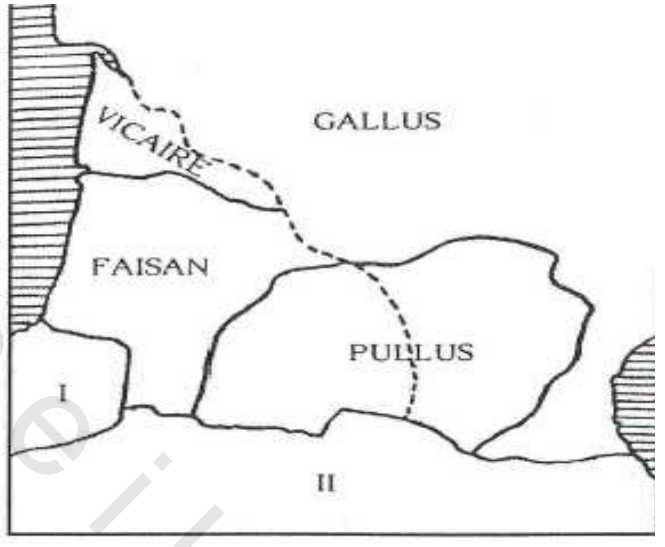

الشكل ٣/٢. مثال جوليه جيليرون (Jules Gillieron) في شرح مبدأ (رفض التجانس اللفظي).

وتوضح الخريطة السابقة كيف رفض سكان المنطقة الشمالية الفرنسية التجانس اللفظي لكلمة (gat)، فاستخدموا بدلاً منها (bigey) أو (azan)؛ وذلك أن كلمة (gat) تعني 'ديك' كما تعني 'قط'.

ولقد تم حسم حالة الخلط بين كلمة (gat) والتي تعني 'ديك' وكلمة (gat) والتي تعني 'قط' باستبدال كلمة (gat) والتي تعني 'ديك' بلفظين بديلين هما (bigey) و(azan)، وهما اسمان من أسماء الطيور.

وفي مقابل نظرية جيليرون في "رفض التجانس اللفظي" هنالك نظرية مقابلة تسمى بنظرية "رفض تعدد المعنى" (avoidance of polysemy) والتي قدمها العالم جوسنز (Goosseens) سنة ١٩٦٩م. وتقوم هذه النظرية على مبدأ "مصطلح واحد لمعنى واحد": وذلك أن أي غموض ناتج عن التجانس اللفظي أو تعدد المعنى سيؤدي إلى بنية لغوية ضعيفة. ومن أهم النتائج التي أثمرتها العلاقات الشكلية والدلالية تصنيف التغيرات الدلالية.

ولقد طور العالم ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) تصنيفاً للتغير الدلالي بطريقة تعيد إلى الأذهان التصنيفات التقليدية التي اشتهر بها علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي، وقد قدمها في الفترة من (١٩٥٧–١٩٦٢). كما قدم بعض الآليات المنهجية

اللغوية التي ذكرناها في الفصل السابق، وأشار أيضاً إلى بعض أفكار اللغويين البنيويين بإعادة شرح الفارق بين كلمة (signifiant)، وهي المصطلح الذي استخدمه العالم دي سوسير للتعبير عن شكل الكلمة و (signifié) وهو مصطلح يدل على معنى الكلمة أو مضمونها. كذلك فقد ربط الفارق بين الاستعارة (metaphor) والكناية (metonymy) بالفارق الذي وضعه العالم دي سوسير بين العلاقة السياقية (syntagmatic) والعلاقة التبادلية (paradigmatic). ويعد هذا الرابط المفاهيمي مقبولاً لأن العلاقات التبادلية، كما عرفها دي سوسير تقوم أساساً على التشابه (similarity)، بينما تقوم العلاقات السياقية على أساس التزامن (co-occurrence) والارتباط (association). وكما قال دو سوسير فإن هذه العلاقات تقوم – في الأساس – على السلوك النحوي للكلمات، ولكن يمكن توظيفها في المجال الدلالي. ولقد عُرّف مصطلح الاستعارة منذ العصور القديمة بأنه يقوم على التشابه المفاهيمي (conceptual similarity)، بينما تقوم الكناية على استخدام علاقة التزامن (co-occurrence) والارتباط (association) المتبادلين بين المفهوم الأساسي للكناية والمفهوم المراد (وهي العلاقة التي لخصها العالم أولمان بالمصطلح "contiguity" أي 'التقارب'). ويقول أولمان عن هذه العلاقة بأنها: الجزء الذي يوجد مع الكل، وهو التأثير الذي يحدث جنباً إلى جنب مع السبب، وهو الصفة المرتبطة بالموصوف،..ألخ. ويوضح الشكل ٤/٢ الفرقين بين مصطلحي الشكل (signifiant) والمضمون (signifié)،وبين مصطلحي التشابه (similarity) والتقارب (contiguity).

	تحول مضمون الكلمة (signifié) بناء على علاقته بأشكال الكلمة (signifiants).	تحول شكل الكلمة (signifiant) بناء على علاقته بمضامين الكلمة (signifiés)
علاقة التشابه (similarity)	التأثيل الشعبي (folk etymology)	استعارة (metaphor)
علاقة التقارب (contiguity)	الإيجاز بالحذف (ellipsis)	كناية (metonymy)

الشكل ٤/٢ تصنيف التغيرات المعجمية التي طورها العالم ألمن (Ullmann).

ولشرح ذلك، فإن الكناية التي تحملها كلمة "كأس" – مع التحويل في البنية الأساسية للمفعول به– تعني أن شكل (signifiant) هذه الكلمة يدل على أن المضمون (signifié) "مادة صلبة شفافة"، وقد تحول إلى مضمون (signifié) آخر وهو "وعاء الشرب المصنوع من تلك المادة الشفافة". وهذا التحول المجازي كان سهلاً بسبب التقارب (contiguity) بين هذه المضامين (signifiés). ونجد في هذا التحول المجازي أن المفهوم الأصلي لشكل الكلمة قد تحول إلى المضمون الهدف بسبب خاصية التشابه (similarity) بين المضامين. ولقد اكتشف العالم أولمان في دراسته لتصنيفات الحقول الدلالية الفرق بين علاقة التقارب (contiguity) وعلاقة التشابه (similarity). ففي حالات الإيجاز بالحذف (ellipsis)، تكون هناك علاقة تقارب (contiguity) بين المصطلحات الموجودة داخل محيط التغير المعجمي، بحيث يكون أحدها جزءا من الآخر.

أما في حالات التأثيل الشعبي (folk etymology, popular etymology)، فنجد أن العلاقة بين المصطلحات هي علاقة التشابه (similarity). ونجد في علم اللغة التاريخي أن التأثيل الشعبي يدل على العملية التي يتم من خلالها تفسير الكلمات الغامضة غير المفهومة بطريقة تجعلها واضحة ومألوفة، وبالتالي يصبح المعنى أكثر وضوحاً. ومن الأمثلة على ذلك الكلمة الهولندية (hangmat) والتي تعني "أرجوحة" وهي مشتقة من الكلمة القديمة (hamac)، واستعيرت من اللغة الإسبانية (hamaca) والتي استعارها الأسبان قديماً من اللغة الكاريبية من كلمة (Taíno). ومن هنا فقد تم استبدال الكلمة غير المألوفة (hamac) بكلمة مألوفة وأكثر وضوحاً من الناحية الدلالية، كما أنها أكثر شيوعاً في الاستخدام. وبالنظر إلى آليات التغيير والتطوير اللغوية التي سنعرضها في الجزء ١/٣/٢، سنجد أن التأثيل الشعبي وتوضيح معاني الكلمات كان أحد أسباب تحول الكلمات عبر العصور وتغيرها.

وعلى الرغم من أن تصنيف أولمان يتسم بالنظامية فإنه لم يَخْلُ من المشاكل أيضاً. لقد وصف الباحثون البنيويون هذا التصنيف بأنه كيان فاتر؛ وذلك أنه علي الرغم من إفادته من مبادئ المدرسة البنيوية، فإنه لم يتعد حدود تصنيف التغيرات التي تطرأ

على الكلمات المفردة، إذ لم يهتم هذا التصنيف بعلوم الدلالة الزمنية كعلم الدلالة فقه اللغوي التاريخي في دراسة التغيرات التي تطرأ على بنية المفردات المعجمية علي نحو ما اهتم بها البنيويون. أما من ناحية علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي، فإن هذا التصنيف يحتوي على جزء بسيط جداً من الآليات التي تعرفنا عليها في الفصل السابق. ولقد قام أولمان بمثل ما قام به العالمان كارنوي (Carnoy) وشتيرن (Stern) وهو الربط بين المنظور الدلالي والمنظور الشكلي، ولكنه لم يتبع الأسلوب المنطقي في هذا الربط. ومن ثم لم تنجح نظريته في الوصول إلى العالمية وإحداث تطور في دراسة المفردات اللغوية المعجمية.

٤/٢/٢- الفصل بين الحقول المعجمية :

لم يكن تشبيه العالم تريير الحقول المعجمية بلوحة الفسيفساء مجدياً؛ لأن هذه اللوحة توحي لنا بأن الفسيفساء تغطي سطح اللوحة كله، وأن ليس هنالك نقص في عددها، وهذا يعني عدم وجود فجوات في الحقول المعجمية (lexical gap). وغياب الفجوات (absence of hiatuses) يتعارض مع حقيقة وجود الفجوات المعجمية؛ أي أن فجوات الحقول المعجمية قد تحدث في حال وجود مفهوم ليس له مفردة تعبر عنه. فعلى سبيل المثال، يمكن أن نلقي نظرة على الشكل ٥/٢ والذي يعطي تحليلاً للحقل المعجمي لمفهوم "الطهي"، أو يعطي – على الأقل – تحليلاً لأكثر المصطلحات شيوعا في ذلك الحقل. في هذا الشكل نوعان من الأبعاد التحليلية وهما: الطريقة التي تنتج الحرارة اللازمة للطهي، وما إذا كان هنالك استخدام للزيت مع الماء أو عدم استخدامه في هذه العملية. ولقد قام العالم أدريان ليرر (Adrian Lehrer) بتصميم هذا الشكل. وكان له إسهامات كبيرة في نشر علوم تحليل الحقول المعجمية بين أوساط المهتمين بالعلوم اللغوية من الناطقين باللغة الإنجليزية. وكشف ليرر في تحليله لهذا الحقل المعجمي – والذي نشره في كتابه سنه١٩٧٤م، ص ١٠٠ – عن الفجوات المعجمية في هذا الحقل: حيث ترك – وببساطة – بعض الاحتمالات المفاهيمية الحالية الثابتة. فعلى سبيل المثال، لا توجد كلمة تعبر عن إعداد الطعام في مقلاة بدون الماء والزيت، ولا للطبخ مع الزيت على اللهب. ولا تعد هذه الأمثلة وما شابهها صعبة عند

تكرارها، كما أن ليرر لم يستخدم مفهوم النظام المتشابه في دراسته. ونلاحظ أن استخدامه للتسميات الدقيقة في تحديد محتويات هذا الحقل يشكل خطوة وسيطة نحو منهج تحليل مكونات المعني (the componential approach)، والذي سنتناوله في الجزء التالي. كما لاحظ ليرر أن هنالك خطوة بسيطة تفصل بين الحقائق الموجودة في الشكل ٥.٢ وبين حقائق ذلك المنهج.

	موصل للحرارة (الفرن)	ينتج الحرارة (النار)	سطح ساخن (مقلاة)
+ ماء – زيت – بخار		سلق	
+ ماء – زيت + بخار		طبخ بالبخار	
+ زيت – ماء	(تحمير – قلي)		قلي
– زيت – ماء	خبز تحميص	شوي تحميص	

الشكل ٥/٢ الحقل المعجمي لمفهوم الطهي كما وضعها العالم ليهرر (Lehrer)

ويفترض منهج تحليل مكونات المعني وجود مواقع أوليّة للكلمات قيد الدراسة في الحقل الدلالي، بحيث تصبح المسميات التي تمثل أبعاداً لذلك الحقل مكونات لمعاني الكلمات المنفصلة والموجودة هناك. وسيتضح لنا ذلك أكثر عندما نتحدث بالتفصيل عن تحليل مكونات المعني في الجزء ٣/٢.

غير أن هناك افتراضية أخرى مستوحاة من صورة الفسيفساء، وهي أن الحقول محددة من الداخل والخارج مثلها مثل أجزاء الفسيفساء التي تتجلي حدودها بخطوط واضحة، وكذلك الحقول المعجمية المختلفة التي يرتبط بعضها ببعض بالطريقة نفسها. وبالتالي فإن الحقل المعجمي يمثل كياناً هائلاً ينقسم إلى أجزاء صغيرة محددة. وهذه

الأجزاء تنقسم بدورها إلى أجزاء أصغر وهكذا حتى نصل في النهاية إلى أصغر مستوى وهو الكلمة. ولقد واجهت هذه النظرية انتقادات مختلفة. حيث أكد العالم جيبر (Gipper) في دراسته التي أجراها عن الأنماط البحثية لعلم الدلالة المعرفي أن للمفاهيم اللغوية في الحقل المعجمي حدوداً غير واضحة، ولذا يصعب علينا تحديد نقطة انتهاء هذا الحقل المعجمي. ولكن هنالك حدودا واضحة للمفهوم الأساسي للحقل المعجمي محاطة بالمنطقة التحويلية التي تضم بقية المفاهيم والتي يصعب تحديدها.

لقد قام جيبر بدراسة معنى الكلمتين الألمانيتين (Stuhl) وتعني 'كرسي' و (Sessel) وتعني 'كرسي مريح' مستخدماً صوراً لأنواع متعددة من الكراسي، وقد طلب من المشاركين تسمية ما يرونه في هذه الصور.

وقد كشفت نتائج هذه الدراسة عن وجود تداخل كبير بين المفهوم الدلالي للكلمتين، حيث إن الإجابات التي تطابقت فيها التسمية مع الصورة كانت إجابات قليلة ومعدودة. وفي الوقت ذاته فإن بنية الحقل المعجمي للكلمتين (Sessel) و (Stuhl) ليست بنية عشوائية، كما أن التسمية ليست اعتباطية، بل تأخذ شكلاً مشابهاً لذلك الذي نراه في الشكل ٦/٢، إذ تحتوي الدائرة أسفل الصورة على أنواع محصورة من الكراسي التي تسمى (Sessel)، ويحيط بهذه الدائرة الداخلية مجموعة من العناصر (الكراسي) والتي تسمى أيضاً (Sessel). ويمكن أن تصنف هذه العناصر ضمن الحقل المعجمي لكلمة (Stuhl). أما الدائرة الأخرى في أعلى الصورة فتحتوي على أنواع محصورة من الكراسي التي تسمى (Stuhl)، ويحيط بها مجموعة من العناصر (الكراسي) التي تسمى (Stuhl)، كما يمكن أن تصنف هذه العناصر ضمن الحقل اللغوي لكلمة (Sessel). أما العناصر الواقعة بين الدائرتين فهي أنواع الأثاث التي تحمل صفات مشتركة بين كلا الحقلين السابقين ويصعب تصنيفها ضمن حقل بذاته.

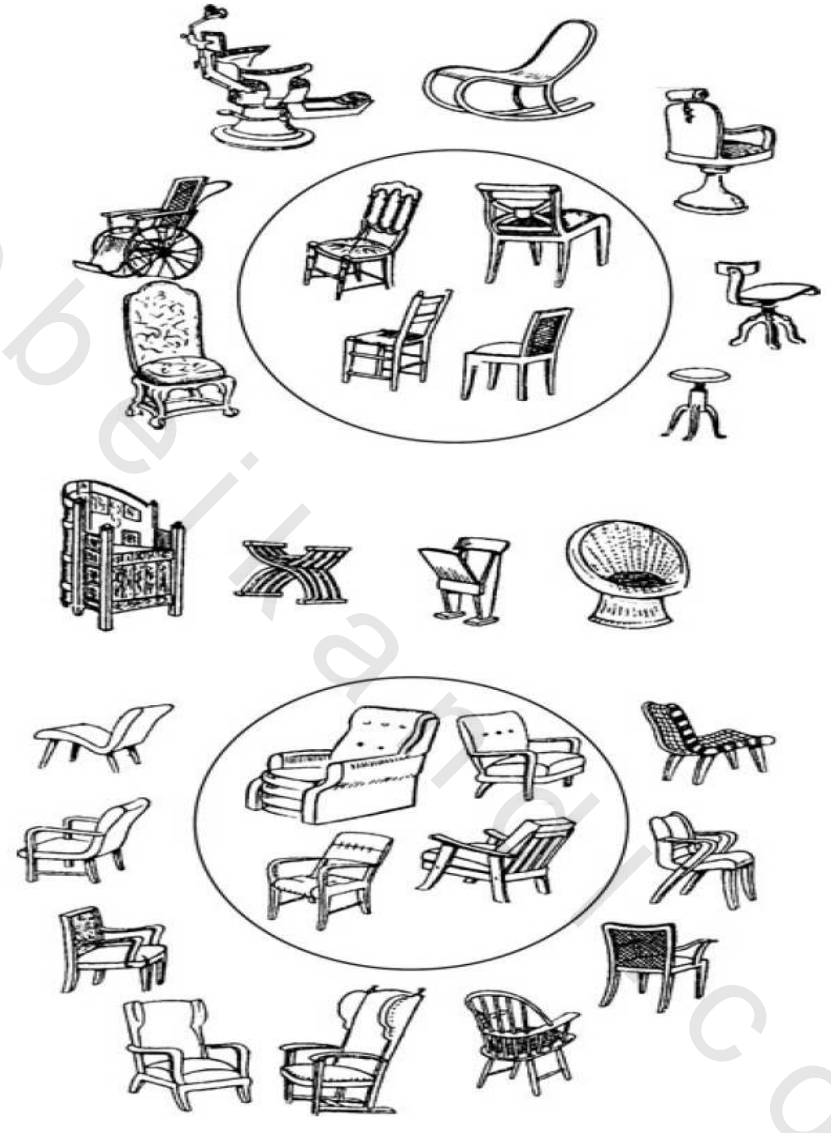

الشكل ٦/٢ الحقل المعجمي للكلمتين الألمانيتين Sessel وStuhl وفقًا للعالم جيبر (Gipper)

ويصف علم الدلالة المعاصر الحقل المعجمي الذي يضم كلمة محورية محاطة بكلمات مرادفة بالمنظومة النموذجية (راجع الجزء ٥/١)، حيث تمثل معاني الكلمات المحورية في كل حقل معجمي نموذجاً تشابهه معاني الكلمات الأخرى في ذلك الحقل. وليس من الضروري أن تكون معاني كلمات الحقل المعجمي معاني واضحة ومحددة كما هي الحال مع معنى الكلمة المحورية.

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن ما يصفه لنا الشكل ٦/٢ يتوافق إلى حد كبير مع الشكل الذي رسمه العالم إردمان (Erdmann) للبناء التصنيفي (راجع الجزء ٣/٢/١). وكان العالم جيبر قد فطن إلى أن الفرق بين(Stuhl) و (Sessel) يتعلق بالمنظور الوظيفي إلى حد ما، فإذا كان التركيز منصبًا على الراحة فإن كلمة (Sessel) تبدو أكثر ملاءمة (ويظهر ذلك بوجود سمات تدل على الراحة كمساند الذراعين وأن يكون المقعد منَجداً)؛ أما إذا كان التركيز منصباً على الوظيفة العملية فإن كلمة (Stuhl) هي الأنسب. ومن الناحية النظرية، يعتقد جيبر أن الكلمتين (Sessel) و(Stuhl) تدعمان الفكرة البنيوية التي تنص على أن اللغة قد تفرض بناء على الواقع بشكل أو بآخر، حيث إن الكرسي ذا الذارعين (armchair) والكرسي المريح (easy chair) يندرجان تحت كلمة 'كرسي' (chair)، ولا يتداخلان في المعنى كما هو حال الكلمتين (Stuhl) و (Sessel). وبذلك تتناقض افتراضات نظرية الحقول المعجمية تناقضًا كبيراً، لاسيما إذا تبنينا فكرة تشبيه الحقول المعجمية بلوحة الفسيفساء.

وحريٌ بنا في هذا الصدد أن نذكر فشل العالم تريير – عام ١٩٦٨م– في تصحيح نظرية العالم إيبسن (Ipsen) عن الحقول المعجمية وتشبيهها بلوحة الفسيفساء، واعترافه بأن هذا التشبيه قد يزيل الخلط واللبس بين الصفات الرئيسة للحقول المعجمية. ويرى تريير ضرورة استبدال الرسم التصوريّ عن الحقول المعجمية بأنها دوائر تتوسطها كلمة محورية محاطة بكلمات مرادفة بنجوم تتوسطها كلمة محورية مرتبطة دلالياً بالكلمات المحورية للحقول المجاورة والتي تقع على أطراف النجمة. ويكون هذا الارتباط على هيئة أشعة أو خطوط. ولقد شرح العالم أوتو دوشيك (Otto Ducháček) الشكل النجميّ للحقول المعجمية في دراسته التي أجراها عام ١٩٥٩م، وقدم رسماً بيانياً يمثل الحقل المعجمي لمفهوم 'الجمال' في اللغة الفرنسية. حيث تكون كلمة (beau) – أي 'جميل' – كلمة محورية في ذلك الحقل، وتضم عدداً من الكلمات المرتبطة بها صرفياً، وتحيط بها أشعة كأنها خطوط تربط هذا الحقل بالحقول المعجمية المجاورة والتي استعار منها بعض مصطلحاته. ولا يعد الحقل المعجمي مجالاً مغلقاً، بل هو عبارة عن سلاسل دلالية متصلة تربط كل حقل معجمي بالحقول الأخرى (انظر الشكل ٢/٧).

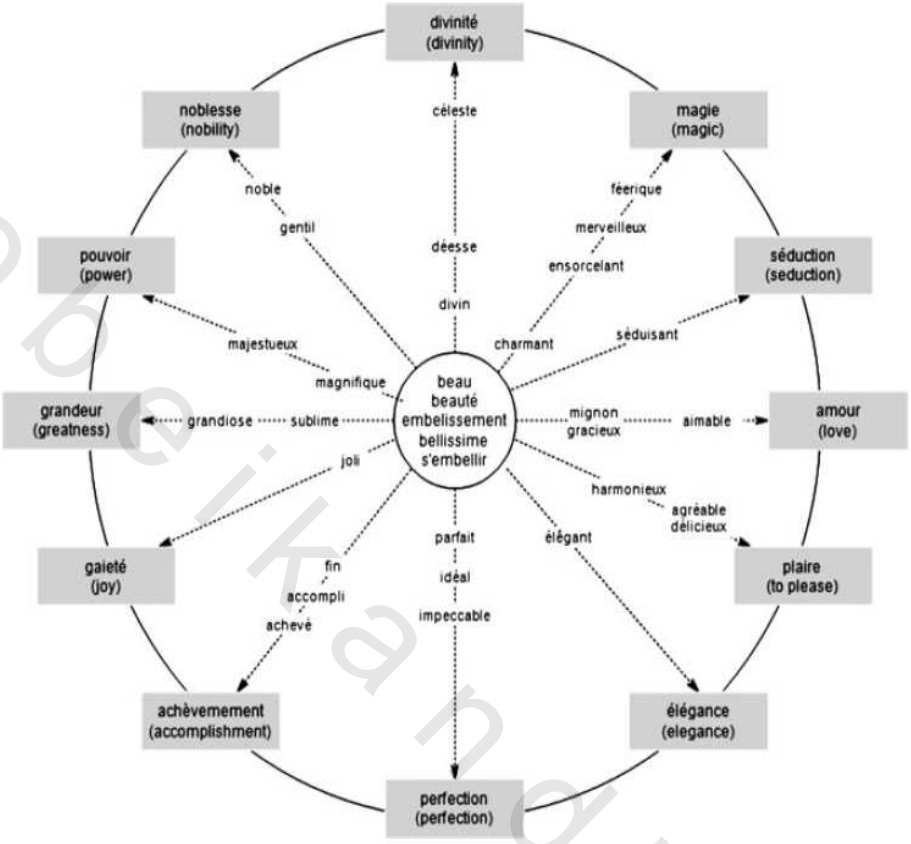

الشكل ٧/٢ الحقل المعجمي لمفهوم الجمال في اللغة الفرنسية وفقاً للعالم دوشيك (Ducháček)

ويرينا هذا الشكل أن بعض الكلمات التي تعبر عن مفهوم 'الجمال' ترتبط بالحقل المفاهيمي للسحر أو الحب، وأن المسافة بين العناصر المعجمية والمفهوم الجوهري للحقل المعجمي تعكس لنا صورة الكلمة المحورية والكلمات المحيطة. والكلمات القريبة المحيطة بالمفهوم المحوري للجمال لها أهمية أكبر من أصول تلك الكلمات ومعانيها المشتقة من الحقول المجاورة. فهنالك الكلمة الفرنسية (charmant)، وهي كلمة مستقلة تحمل في طياتها معاني مختلفة؛ فقد تعني 'التعويذة والسحر' وقد تعني 'الأناقة والجاذبية'. وإذا نظرنا إليها على أنها كلمة محيطة بمفهوم 'الجمال' فسنستبعد المعنى الأول 'التعويذة والسحر' وسنربطه بالمعنى الثاني 'الأناقة والجاذبية'. وعلى النقيض من ذلك، قد نجد مفهوم 'الجن والساحرات' حاضراً في بعض الكلمات

المحيطة بمفهوم 'الجمال'. ومن الأمثلة على ذلك كلمة (féerique) وتعني 'ساحر أو فاتن' وكلمة (ensorcelant) وتعني 'خلاّب'.

ولكن أليس بإمكان أنصار فرضية "الحدود الواضحة للحقول المعجمية" أن يدحضوا الفكرة السابقة؛ لأن الكلمات المحيطة بالكلمة المحورية قد تنتمي إلى مجالين في وقت واحد؟ فكلمة (merveilleux) ترتبط بالحقل المعجمي لمفهوم 'السحر' وهي صفة معناها الحرفي 'عجيب ومعجِز وحققته قوى خارقة'؛ كما ترتبط – في الوقت نفسه – بالحقل المعجمي لمفهوم 'الجمال'، وهي هنا صفة تعني 'رائع جداً ولذلك يستحق الإعجاب'. وعلى الرغم من وجود الكلمة نفسها في الحقلين السابقين، فإن معنى الكلمة يختلف من حقل إلي آخر؛ وبالتالي يبقى الحقلان منفصلين انفصالاً تاماً. ولكن قد نجد عددا من الكلمات تحمل المعنى ذاته في حقلين مختلفين. ففي الشكل السابق نرى كلمة (noble) وهي كلمة تشير إلى نوع راق ومميز وبارز من الجمال تنتمي إلى الحقل المعجمي لمفهوم 'الجمال' وهي تنتمي أيضاً إلي مفهوم 'النبل'. والجمال النبيل هو نوع من أنواع الجمال يتميز بخصائص النبل التقليدية (بغض النظر عما إن كان ذلك مفهوماً حرفيًا أو مجازيًا). كذلك فإن كلمة (noblesse) هي ميزة جمالية مشتقة من الكلمة السابقة وتنتمي إلى مفهوم الجمال أيضًا، بالإضافة إلي أنها تحتوي على مظاهر السلوك النبيل. ونرى أيضاً في الشكل نفسه أن كلمة (achevé) لا تعني 'الكمال' التام فحسب، بل تشير إلى نوع من الكمال الذي يكشف عن فنان أو حرفي متعلم ومدرب تدريبًا جيدًا. وبما أن كلمة (achevé) تحمل معنى لنوع معين من الجمال ومعنى لنوع محدد من الإنجاز، فهي إذاً تنتمي إلي كلا الحقلين، وأن افتراض قراءتين مختلفين لهذه الكلمة غير مقبول تماماً. ويتضح لنا من الأمثلة السابقة أن الحقائق اللغوية نفسها تلعب دوراً في عدم وضوح الحدود بين الحقول المعجمية. وهذه نقطة هامة جداً لأن عدم وضوح هذه الحدود سيلعب دوراً رئيساً في التطورات الحديثة لعلم الدلالة المعجمي.

٣/٢- تحليل مكونات المعنى :

كيف نبدأ حديثنا إذا كانت القيمة الدلالية للكلمة تحددها العلاقات المتبادلة بين كافة العناصر المعجمية في الحقل المعجمي؟ وإذا كان العنصر "أ" يحدد العنصر "ب"،

وفي الوقت نفسه نجد أن العنصر "ب" يحدد العنصر "أ"، فكيف نتجنب إذن هذه الحركة الاستدارية؟ هذا السؤال طرحه العالم كاندلر Kandler سنة ١٩٥٩م. إن مثل هذا التمييز المجرد لا يعطينا وصفاً فعلياً للقيم الدلالية، فوصف تلك القيم يتطلب تحديد محتويات الحقل المعجمي الذي تنتمي إليه تلك الدلالات.

ولا يمكننا وصف الطريقة التي تدخل فيها اللغة إلي أي عالم غير لغوي إلا إذا استدعينا بعضاً من المحتوى المفاهيمي الحقيقي. ففي مصطلحات القرابة نستدعي نوع الجنس، والنسب، والجيل. أما في حقل تربر للمصطلحات الفكرية فنستدعي الاختلافات الاجتماعية وأنواع المهارات. ولكن كيف يمكن بعد ذلك تقديم ذلك المحتوى المفاهيمي؟

يقدم تحليل مكونات المعنى componential analysis نموذجاً وصفياً للمحتوى الدلالي مبنياً على الفرضية التي تنص على أنه يمكن وصف المعاني بناءً على مجموعة محددة من الأسس المفاهيمية وهي 'المكونات' الدلالية أو 'السمات'. ولقد طور علماء اللغة الأوروبيون والأمريكيون منهج تحليل مكونات المعنى في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من أن علماء اللغة الأوروبيين والأمريكيين قد توصلوا إلى نتائج متشابهة عند دراستهم علم الأصوات البنائي، فإن منهج تحليل مكونات المعنى في أوروبا قد انبثق من نظرية الحقول المعجمية، بينما ظهر في أمريكا في مجال علم اللغويات العرقية أو الإثنية دون أية صلة بنظرية الحقول المعجمية الأوروبية، وذلك في الدراسات التي قام بها العلماء: كرويبر (Kroeber) سنة ١٩٥٢م، وكونكلين (Conklin) سنة ١٩٥٥م، وجودينوف (Goodenough) سنة ١٩٥٦م، ولونسبوري (Lounsbury) سنة ١٩٥٦م. أما في أوروبا، فقد ظهر منهج تحليل مكونات المعنى في الأبحاث التي قدمها العالم الدانماركي لويس يلمسليف (Louis Hjelmslev) في عام ١٩٥٣م، وتطورت في مطلع الستينيات في الأبحاث التي قام بها العلماء: برنار بوتييه (Bernard Pottier) في الفترة مابين ١٩٦٤–١٩٦٥م، ويوجينيو كوزيريو (Eugenio Coseriu) في الأعوام ١٩٦٢–١٩٦٤–١٩٦٧م والجريدس جريماس (Algirdas Greimas) عام ١٩٦٦م.

ونجد في سياق تاريخ علم الدلالة المعجمي أن منهج تحليل مكونات المعنى يتصل بطبيعته مع نظرية الحقول الدلالية التي تحدثنا عنها سابقاً، ولم يكن تأثير هذا المنهج نابعاً من الدراسات الأوروبية، بل من دمجه في نظرية النحو التوليدي.

وقد كان للمقالة التي كتبها كل من جيرولد (Jerrold) وجي كاتز (J. Katz) وجيري آي فودر (Jerry A. Fodor) بعنوان بنية النظرية الدلالية (The structure of a semantic theory) سنة ١٩٦٣م دور كبير في تحويل منهج تحليل مكونات المعنى من الإطار البنائي إلى الإطار التوليدي. ولأن هذا التحول مبني على التطورات الحديثة الرئيسة لعلم الدلالة المعجمي، فسوف نخصص له فصلاً كاملاً يشرحه بالتفصيل، أما في هذا الجزء فسنتطرق إلى الدراسات الأمريكية لمنهج تحليل مكونات المعنى، وسنشرح عن كثب المناهج الأوروبية المتعلقة بهذا الموضوع.

١/٣/٢- تحليل مكونات المعنى في علم الدلالة العرقي الأمريكي :

ربما فوجئنا حينما نعلم أن فكرة تحليل مكونات المعنى (componential analysis) لم تظهر في الدراسات اللغوية الأمريكية إلا في منتصف القرن العشرين؛ وذلك لأن البيئة البحثية للدراسات البنيوية في الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مناسبة لإجراء الدراسات الدلالية. ويرجع الفضل في ذلك إلى العالم ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) والذي يعد أعظم العلماء تأثيراً في المدرسة البنيوية الأمريكية (American Structuralism)؛ فقد تبنى الرؤية السلوكية (behaviorist view) التي تنص على أن لكل تركيب لغوي معنى يدل على واقع غير لغوي، وهو ما أسماه بالحافز النفسي، حيث يقول في كتابه (١٩٥٥: ص ١٥٨): "ما أن يلفظ المتحدث تركيباً لغوياً حتي يحفز السامع للاستجابة لهذا الموقف؛ وهذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي لهذا التركيب". ويجب ألا يصف اللغويون هذا الواقع الخارج عن النطاق اللغوي إذا كان المعنى المقصود مساوياً له. كذلك، فقد ذكر بلومفيلد في كتابه (١٩٣٣م: ص ١٦٢) أن الوحدات الصرفية (morphemes): ذئب (wolf) و ثعلب (fox) وكلب (dog) لا تحتوي على ما يدل على معناها؛ وأن شرح معانيها هو من اختصاص علماء الحيوان لا علماء اللغة. ولقد تأثرت المدرسة البنيوية الأمريكية

بالعالم بلومفيلد واهتمت بالتراكيب البنيوية، وأهملت دراسة المعنى بوصفه فرعاً من فروع علم اللغة، بيد أن هنالك عاملين أسهما في ظهور الشكل اللغوي لعلم الدلالة المعجمي.

لم يفصل بلومفيلد الاعتبارات الدلالية عن علم اللغة فصلاً تاماً في بداية الأمر، فقد خصص فصلاً كاملاً عن تغير المعنى (مع توجه تقليدي فقه لغوي تاريخي) في كتابه الرسمي 'اللغة' Language (والمنشور سنة ١٩٣٣)، هذا إلى جانب رأيه في الاعتبارات الدلالية ودورها الكبير في تعريف علم الصرف. وهذا كله يدل دلالة كاملة على أنه لم يفصل ولم يستبعد الاعتبارات الدلالية عن علم اللغة. لقد أشار في كتابه السابق (ص: ١٤٦) إلى أنه عندما يعرّف الخبراء معنى كلمة 'ذكر' وكلمة 'أنثى' فإن باستطاعة اللغويين استخدام هذه التعريفات في تحديد الفرق بين ضمير المذكر 'هو' وضمير المؤنث 'هي'، وبين الكلمات المذكرة والمؤنثة مثل: 'أسد' و'لبؤة'، و 'أوز' و 'أوزة'، و'كبش' و 'نعجة'. مثل هذه العملية تصف مبادئ تحليل مكونات المعنى بإيجاز. وفي عام ١٩٥١م، قام العالم يوجين نايدا (Eugene Nida) باستقراء جوانب منهج بلومفيلد وطور المصطلحات البنيوية لوصف المعنى. وعلى الرغم من أن نايدا لم يتحدث عن تحليل مكونات المعنى (والذي أصبح هو من رواده: راجع كتاب نايدا المنشور سنة ١٩٧٥م)، فإن تطويره لتلك المصطلحات يكشف لنا عن كيفية تطور النظرية الدلالية (semantic theory) القائمة على علم وظائف الأصوات البنيوي (structuralist phonology). وليس من الضروري في علم وظائف الأصوات (phonology) أن يكون اختلاف نطق الوحدات الصوتية (أو الفونيمات) دالا على وجود اختلافات بنيوية؛ فقد نجعل الوحدة الصوتية (Phoneme) – وهي وحدة بنيوية واحدة– متغيرا صوتيا مختلفا (different allophone). مثال ذلك أننا نجد (في اللغة العربية) أن الصوت/ ت/ يختلف عن الصوت/ د/ بنيوياً؛ فكلمة 'تُب' تختلف عن 'دب' لأنهما كلمتان ثنائيتان صغريان ولكل منهما معنى مختلف عن الكلمة الأخرى. ولكن عندما ننظر إلى الصوت /ت/ في الكلمتين 'تُب' و 'ازدجر' نجد أن نطق هذا الصوت يتغير بتغير الكلمة، وهذا ما يعرف بـ'المتغير الصوتي'

(allophone) [1]. ولقد استحدث العالم بلومفيلد مصطلح 'السيميما' (sememe) في علم الصرف (morpheme). ويطلق هذا المصطلح على أصغر عنصر دلالي يقوم بوظيفة التمييز بين الدلالات. ويمكن استخدام مصطلح 'السيم' (seme) مكافئا للمصطلح 'صوت' (phone)، حيث تشكل السيمات (semes) المعنى الصرفي في سياق معين. أما 'المتغيرات السيمية' (allosemes) فهي سيمات ذات علاقة بسيميم معين. وهذا التكافؤ الاصطلاحي مع علم وظائف الأصوات (phonology) –والذي تم تفسيره بطرق مختلفة كما سنرى لاحقاً – مهد الطريق للأبحاث الدلالية المتخصصة. وإذا كان من الممكن دراسة المعنى على غرار دراسة علم الأصوات – من حيث هو جزء من المنهج البنيوي للغة– فإنه يمكننا القول حينئذ بأن دراسة المعنى ليست إلا علما من العلوم اللغوية المحضة.

كان العامل الثاني الذي حفز علي ظهور علم الدلالة البنيوي في أمريكا هو – كما ذكر العالم نايدا سنة (١٩٥١م) اهتمام علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) – وهو من علوم اللغة – اهتماماً شديداً بدراسة العلاقات بين اللغات موضوع البحث فيها وثقافة المجتمعات التي تتحدث بتلك اللغات. وكنا قد ذكرنا آنفا أن الأبحاث التي أجراها سابير (Sapir) وورف (Whorf) كانت قد أثارت فكرة هومبولت (Humboldt) نفسها عن العلاقة بين اللغة والفكر والثقافة والتي كان لها دور في تحفيز العالم فايسجربر علي البحث في هذا المجال. ويبدو جلياً أن الاهتمام باللغات والثقافة له طابع عملي بحت: فهو يتطلب خلفية ثقافية مسبقة، كما يصعب على علماء دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيين) فهم اللغات الأم للمجتمعات الخاضعة للدراسة. ولقد قدم نايدا سنة (١٩٤٥م) عدداً من الإيضاحات المثيرة للاهتمام عن هذا الموضوع. وتحدث في كتابه (المنشور سنة ١٩٥١م) عن ارتباط اللغة بالثقافة وأهميتها في إثبات حتمية نمو النظرية الدلالية. وكان لدراسته تأثير كبير في المصطلحات اللغوية؛ حيث قام بالتمييز بين مصطلح 'السيمات اللغوية' (linguisemes)– وهي سمة من سمات المعنى قائمة على السياق اللغوي كالتصنيف اللغوي الذي تنتمي إليه الكلمة– ومصطلح 'الإثنوسيم'

(١) الأمثلة من العربية للتوضيح ولتقريب الفكرة بما يعرفه القارئ العربي (المراجع).

أو 'السيمات العرقية' (ethnoseme) – وهي سمة من سمات المعنى قائمة على السياق الإثنولوجي والثقافي، وربما كانت على شكل سمة شاملة.

بناء علي ذلك، فإن تولد منهج تحليل مكونات المعنى من الدراسات الإنسانية (الأنثروبولوجية) اللغوية لم يكن أمراً مفاجئاً. وسنوضح ذلك بالنظر عن كثب إلى تحليل جودينوف (Goodenough) الذي أجراه سنة (١٩٦٥م) عن مفردات القرابة في اللغة الميكرونيزية (Micronesian) أو لغة جزر تروك (Truk) جنوب شرق الفلبين. وتبني الخطوة الأولي في هذا التحليل علي تعريف السيمات (semes): أي الرموز الإشارية التي تشير إلى مصطلحات القرابة. ومن ثم فالمصطلح (semenapej) يشير إلى الأب وأب الأب وأب الأم. ولن نتحدث عن جميع مصطلحات القرابة في تلك اللغة، ولكن سوف نذكر بعض الأمثلة. فالمصطلح (jinenapej) يعني: الأم، وأم الأب، وأم الأم. والمصطلح (feefinej) يعني للإنسان 'الذكر' ما يلي: الأخت، وابنة أخ الأب، وابنة أخت الأم، وابنة أخ أم الأب، وابنة ابن أخت الأب، ولا يشمل ذلك زوجة أخ الزوجة؛ أما 'للأنثى' فليس لهذا المصطلح دلالات أو رموز لغوية. وأما المصطلح (Mwääni) فلا يعني للذكر أية دلالات أو رموز لغوية؛ أما للأنثى فيعني لها ما يلي: الأخ، وابن أخت الأم، وابن أخ الأب، وابن أخ أم الأب، وابن ابن أخت الأب، ولا يشمل ذلك زوج أخت الزوج. وهنالك أيضاً المصطلح (Pwiij)، ويعني للذكر ما يلي: الأخ، وابن أخت الأم، وابن أخ الأب، وابن أخ أم الأب، وابن ابن أخت الأب، وزوج أخت الزوجة .. ألخ؛ كما يعني للأنثى: الأخت، وابنة أخت الأم، وابنة أخ الأب، وابنة أخ أم الأب، وابنة ابن أخت الأب، وزوجة أخ الزوج..ألخ. أما المصطلح (jeesej) فيعني للذكر: زوج الأخت، وأخ الزوجة، وزوج ابنة أخ الأب ..ألخ؛ أما للأنثى فهو يشير إلى: زوجة الأخ، وأخت الزوج، وزوجة ابن أخ الأب ...ألخ.

أما الخطوة الثانية الرئيسة من خطوات تحليل مكونات المعنى (componential analysis) فهي تحاكي ما يحدث في علم الأصوات البنيوي (structuralist phonology)؛ حيث يتم التمييز بين الأصوات المختلفة بناءً على السمات المميزة لكل صوت. ولكل سمة موقع خاص في الأبعاد المتباينة في علم وظائف الأصوات

(phonology). فنجد أن الصوتين/ ت/ و/ د/ يشتركان في أغلب السمات المميزة: فالصوت/ ت/ صوت صامت أسناني احتكاكي مهموس مرقق، أنفي؛ بينما الصوت/ د/ صوت صامت لثوي خلف أسناني وقفي مجهور مرقق. وإذا طبقنا هذه الطريقة عند وصف المعنى، فيمكننا حينئذ تصنيف السيميمات (sememes) في مجموعات متكاملة علي نحو ما تصنف الأصوات في مجموعات متكاملة أيضاً، وذلك كالأصوات المهموسة والمجهورة. فعلى سبيل المثال، السيميمان (sememes) 'أوز' و 'أوزة' يكمل أحدهما الآخر في البعد الخاص بالجنس والنوع؛ بينما تكمل كلمة 'عجوز' و 'صغير السن' إحداهما الأخري في البعد الخاص بالعمر.

ولقد استخدم جودينوف (Goodenough) عند وصفه مصطلحات القرابة في لغة التروك (Truk) الحروف الهجائية لتحديد الأبعاد التسعة لوصف القرابة. فيمثل الحرف (أ) الصفة الأساسية المتعلقة بالإنسان صاحب العلاقة (الإنسان ذاته). أما الحرف (ب) فيشير إلى الجيل: حيث يمثل الرمز (ب١) الجيل الأكبر من الإنسان صاحب العلاقة، ويمثل الرمز (ب٢) جيل الإنسان نفسه، أما الرمز (ب٣)فيمثل الجيل الأصغر. ولهذه الأجيال تعريف ثقافي محدد يختلف عن تعريف النسب. ولسنا بحاجة هنا إلى الخوض في تفاصيل هذا التعريف. ويمثل الحرف (ج) جنس القريب: فيستخدم الرمز (ج١) للذكر و (ج ٢) للأنثى. ويمثل الحرف (د) العلاقات المتماثلة لمجموعة القرابة من جهة الأم: فيمثل الرمز (د١) العلاقات المتماثلة و (د٢) العلاقات غير المتماثلة، ونعني بالعلاقة المتماثلة أن تكون علاقة الإنسان المعني صلة قرابة مباشرة بالأم، ولا نحتاج هنا أيضاً إلى شرح هذه السمة بالتفصيل. أما الحرف (هـ) فيشير إلى الجنس المتعلق بجنس الذات (الأنا): حيث يمثل الرمز (هـ١) الجنس نفسه و (هـ ٢)الجنس المقابل. ويشير الحرف (و) إلى نمط العلاقة: فيشير الرمز (و١) إلى قرابة الدم و (و٢) إلى الأصل الواحد الذي ينتمي إليه الطرفان. ويشير الحرف (ز) إلى عمر القريب مقارنة بعمر الشخص ذاته: حيث يستخدم الرمز (ز١) للكبير و (ز٢) للصغير. أما الرمز (ح) فيشير إلى مجموعة صلات القرابة من جهة الأم، و يشير (ح١) إلى مجموعة صلات القرابة للإنسان نفسه، أما (ح٢) فيشير إلى مجموعة صلات القرابة من جهة

الأب، بينما يعني الرمز (حI) أن الإنسان المعني لا ينتمي لأي مجموعة. ويحدد الحرف (ط) طابع العلاقة: حيث إن (ط١) للعلاقة المباشرة و (ط٢) للعلاقة غير المباشرة.

ويمكننا الآن تعريف كلمة (Semenapej) –والتي تشير كما ذكرنا إلى الأب وأب الأب وأب الأم– بحسب مكونات المعنى كما يلي: أب١ ج١ ط١. إذا فهذه الكلمة تشير إلى كافة الأفراد الذكور من الجيل الأكبر من جيل الإنسان نفسه؛ وينحدر هذا الإنسان من هذا الجيل بوصفه سليلاً مباشراً (أي الآباء والأجداد). وكذلك يمكن تعريف الكلمة (jinenapej) – والتي تشير إلى الأم وأم الأب وأم الأم– كما يلي: أب١ ج ٢ ط١؛ أي أن هذه الكلمة تحدد الأسلاف المؤنثة التي ينحدر منها الإنسان بوصفه سليلاً مباشراً (أي الأمهات والجدات). أما كلمة (feefinej) فتعرّف على أنها: أ ب٢ د ٢ هـ٢ و١ ج ٢؛ أي القريبات من الإناث واللاتي تربطهن علاقة دم بالإنسان الذكر ومن الجيل نفسه الذي ينتمي إليه (أي الأخوات وبنات العم وبنات الخال). وتتضح لنا الحدود الصحيحة لتلك الكلمة بتحليل مكوناتها، حيث إن السمة (و٢) تستبعد قرابة (زوجة أخ الزوجة) والتي لا ترتبط مع هذا الإنسان بقرابة دم. وتوضح لنا السمة (هـ ٢) أن كلمة (feefinej) لا يمكن أن تستخدمها النساء؛ لأن المرأة عندما تشير إلى أخواتها أو بنات عمها أو خالها، فإنها تستخدم كلمة (mwääni) والتي تعرّف كما يلي: أ ب٢ د ١ هـ ٢ و١ ج ١. ويتضح لنا أيضاً أن السمة (د) تستخدم عندما يشير المتحدث بلغة التروك (Truk) إلى إنسان من الجنس نفسه؛ فعندما يتحدث الرجل عن إخوته وتتحدث المرأة عن أخواتها، فإنهما يستخدمان كلمة (pwiij) والتي تعرّف بما يأتي: أ ب٢ د ١ ه ١؛ أي أنها كلمة تشير إلى الأقارب من جنس واحد وجيل واحد، باستثناء وجود علاقة غير متماثلة. وفي حال وجود علاقة غير متماثلة يستخدم المتحدث كلمة (jëësej) والتي تُوصف مكوناتها كما يأتي: أ ب٢ د٢ هـ ١ .

ومن الدراسات الهامة في مجال تحليل مكونات المعنى في حقل مصطلحات القرابة الدراسة التي أجراها العالم جودينوف ودراسة العالم لونسبوري (Lounsbury) وهما دراستان منشورتان في عام واحد (١٩٥٦م). وتتحدث كلتا الدراستين عن مصطلحات

القرابة في لغة الباوني (Pawnee). ولأول مرة في تاريخ علم الدلالة المعجمي يتم تقديم تحليل مكونات المعنى في الحقول المعجمية على أساس المتقابلات البعدية. وكما ذكرنا آنفاً، فإن منهج تحليل مكونات المعنى يتطور بتطور نظرية الحقول المعجمية الأوروبية، وسوف نتحدث عن هذا التطور في الجزء التالي.

٢/٣/٢- تحليل مكونات المعنى في علم الدلالة البنيوي الأوروبي :

كيف تطور منهج تحليل مكونات المعنى من نظرية حقول الكلمات الأوروبية؟ لقد تركت دراسة العالم ترير الوصفية للحقول المعجمية مسائل مثيرة ذات صلة بالعلاقات الدقيقة بين الكلمات في الحقل الواحد. وألزم ترير نفسه باستخدام الأوصاف العامية والتعريفات اللفظية الشبيهة بتلك الموجودة في علم الدلالة الفيلولوجي التقليدي (traditional philological semantics) إلى حد كبير. كذلك فإنه لم يستخدم في ذلك الوقت الأشكال التوضيحية والرسوم البيانية التي استخدمت بعد ذلك كما في الشكلين (١.٢) و (٢.٢). بل إننا نجد في هذين الشكلين أن البيانات التي يمكن أن نستنتجها محدودة ومقيدة؛ إذ يصعب علينا باستخدام الشكل (١.٢) بمفرده أن نستنتج ما تعنيه كلمة 'الفن' (kunst) وكلمة 'الصنعة' (list) بدقة. ونتيجة لذلك، حاول المنظرون في مجال الحقول المعجمية إيجاد طرق لتصنيف الكلمات في الحقول المعجمية تصنيفاً دقيقاً بحسب ما تحويه تلك الكلمات من معان، وقد نتج عن ذلك ظهور منهج مكونات المعنى.

ونستطيع أن نجد الخطوة المبدئية نحو تحليل مكونات المعنى في أبحاث العالم يلمسليف (Hjelmslev) والتي أجراها في الفترة من (١٩٥٣م) إلى (١٩٥٨م). فمن خلال تطوير فكرة العالم دي سوسير عن اللغة بوصفها نظاماً من العلاقات المتبادلة، صاغ يلمسليف نظريته الدقيقة عن علم اللغة والتي ركز فيها على العلاقات الصرفة التي تشكل البنية اللغوية. وأما ما وراء تلك العلاقات فهو أمر غير مهم من وجهة النظر اللغوية. ولقد صاغ يلمسليف فكرة 'مكونات المحتوى' (content figurae) في مجال علم الدلالة والتي تطرقنا إليها وذكرنا بعض سماتها في الجزء السابق. ولقد قدم يلمسليف أمثلة عملية بسيطة ومحدودة عما تتضمنه مكونات المحتوى، حيث قام بتحليل كلمة 'كبش' بوصفها 'ذكر الغنم' و كلمة 'نعجة' بوصفها 'أنثى الغنم'،

وكلمة 'صبي' بوصفها 'طفل ذكر' وكلمة 'فتاة' بوصفها 'طفلة أنثى'، وكلمة 'فحل' بوصفها 'ذكر الخيل' وكلمة 'فرس' بوصفها 'أنثى الخيل' (راجع كتاب الباحث والمنشور سنة ١٩٥٣م: ص ٧٠). وكانت هذه الطريقة مماثلة لطريقة بلومفيلد التي ذكرناها سابقاً. وعلى الرغم من قلة الأمثلة والشروح فإن الفكرة الرئيسة واضحة جداً، حيث يمكن تحليل المعنى من خلال المتقابلات المميزة.

ولم يظهر التطور الكامل لهذه الفكرة في علم الدلالة الأوروبي إلا في مطلع الستينيات من القرن العشرين في أعمال العالم بوتييه (Pottier) في الأعوام (١٩٦٤م–١٩٦٥م) والعالم كوزيريو (Coseriu) في الأعوام (١٩٦٢م–١٩٦٤م–١٩٦٧م) والعالم جريماس (Greimas) في عام (١٩٦٦م). وتتلخص الفكرة الأساسية التي تناولتها تلك الدراسات في إمكانية التمييز بين المفردات اللغوية في الحقول المعجمية باستخدام المتقابلات اللغوية الوظيفية. ولقد صاغ العالم كوزيريو هذه الفكرة بإيجاز (في كتابه المنشور سنة ١٩٦٤م: ص١٥٧) حيث قال:

"لابد من استكمال نظرية الحقول المعجمية باستخدام المبدأ الوظيفي للمتقابلات اللغوية المميزة". وسوف نركز في حديثنا عن دراسات بوتييه وجريماس وكوزيريو على النقاط التي تختلف فيها هذه النماذج الأوروبية في تحليل مكونات المعنى عن مناهج علم الدلالة العرقي (ethnosemantics) والتي تحدثنا عنها آنفاً: فثمة اختلاف في اختيار بعض المصطلحات، كما أن هنالك اهتماما أكبر بالجوانب السياقية للبنية المعجمية وتركيزا أكبر على التراث العلمي الخاص بالعالم دي سوسير. وسيقتصر حديثنا هنا على الدراسات التي أجراها كل من بوتيه وكوزيريو؛ لأن الدراسة التي قام بها جريماس شبيهة بدراسات من سبقوه، وذلك أنه شرح المبادئ الأساسية المتعلقة بالتحليل المعجمي علي طريقة بوتييه وكوزيريو، وانصب اهتمامه على تحليل المعنى البنيوي للنصوص، والنصوص الأدبية على وجه التحديد، في دراسته التي أجراها عام (١٩٦٦م). (وبذلك يمكننا القول بأن تأثير جريماس فى تطور النظرية الأدبية أكبر بكثير من تأثيره فى علم اللغة).

ويقدم لنا بوتييه مثالاً من اللغة الفرنسية على التحليل الدلالي البنيوي لحقل من الحقول المعجمية والذي يضم المصطلحات التالية: 'مقعد ذو أرجل' (siège) و 'مقعد إسفنجي دائري دون ظهر أو متكأ' (pouf) و'كرسي صغير بلا ظهر ولا ذراعين' (tabouret) و 'كرسي' (chaise) و 'مقعد ذو ذراعين' (fauteuil) و 'أريكة' (canapé). وتنتمي هذه الكلمات إلى حقل فرعي من حقل مصطلحات الأثاث في اللغة الفرنسية. وتعد الكلمة (siège) كلمة محورية في هذا الحقل وتشير إلى 'مقعد للجلوس له أرجل'. ويمكن مقارنة الكلمات الست الباقيات بعضها ببعض كما في الشكل ٨/٢ (ولاحظ أن الكلمة المتبوعة بـ (siege) تتميز فقط بخاصية "كونها مخصصة للجلوس"، وتُعد الخصائص الأخرى خصائص لازمة للتمييز بين الأنواع المختلفة من المقاعد). وتتوازي هذه الطريقة الوصفية مع طريقة جودينوف، حيث اهتمت كلتا الطريقتين بالأبعاد الأساسية في بنية الحقول المعجمية، وأن معنى أي مصطلح في الحقل المعجمي يقوم على موقع هذا المصطلح في كل بعد من تلك الأبعاد.

	s1 for sitting	s2 for one person	s3 with legs	s4 with back	s5 with armrests	s6 rigid material
siège	+					
chaise	+	+	+	+	–	+
fauteuil	+	+	+	+	+	+
tabouret	+	+	+	–	–	+
canapé	+	–	+	+	+	+
pouf	+	+	–	–	–	–

الشكل ٨/٢ حقل قطع الأثاث التي تستخدم للجلوس في اللغة الفرنسية وفقًا لبوتييه (Pottier).

ولقد عُرفت دراسات علم الدلالة البنيوي في المدارس الأوروبية بالتمييز بين المصطلحات، ومن بينها الدراسات التي أجراها العالم بوتييه، حيث سميت قيم الأبعاد المتقابلة –أو السمات المميزة– بالسيمات (sèmes). كما عرّف مصطلح 'الوحدة المعجمية' (lexeme) – أو العنصر المعجمي– بالسيميم (sémème). إذاً، فالسيميم (sémème) هو مجموعة من السيمات (sèmes). كما عرّف أيضاً مصطلح 'السيم' (sème) تعريفاً مختلفاً عن التعريف الذي ذكرناه سابقاً. كذلك الحال مع مصطلح

'المتغيرات السيمية' (alloseme). فالسيمات (sèmes) عند بوتييه عبارة عن مكونات المعنى وليست أنواعاً من الرموز كما هي السيمات (sèmes) في دراسة العالم جودينوف. وللتعبير عن كلمة 'مقعد ذو أرجل' (siege) بوصفها كلمة محورية ترسم حدود الحقل المعجمي الذي تنتمي إليه هذه الكلمة باستخدام المصطلح 'المؤصل الكلي' (archilexème)؛ أي الكلمة الرئيسة في الحقل المعجمي. ويعني مصطلح 'المؤصل الكلي' 'الوحدة الدلالية الصغرى' (archisememe). ويُمكن أن نتتبع 'الوحدة الدلالية الصغرى' في سيميمات (sememes) أي وحدة معجمية مستقلة في الحقل المعجمي. فالسمات التي تشكل 'الوحدة الدلالية الصغرى' (وهي في كلمة 'مقعد ذو أرجل' (siege) s_1، أي "مخصص للجلوس") ليست سمات وظيفية تمكننا من التفريق بين 'مقعد إسفنجي دائري دون ظهر أو متكأ' (pouf) و'كرسي صغير بلا ظهر ولا ذراعين' (tabouret) و 'كرسي' (chaise) و 'مقعد ذو ذراعين' (fauteuil) و 'أريكة' (canapé)، بل هي سمات موجودة داخل نطاق السيميمات (sememes)؛ ذلك لأن الكلمات: 'مقعد إسفنجي دائري دون ظهر أو متكأ' (pouf) و'كرسي صغير بلا ظهر ولا ذراعين' (tabouret) و 'كرسي' (chaise) و 'مقعد ذو ذراعين' (fauteuil) و 'أريكة' (canapé) هي جميعا كلمات تدخل ضمن نطاق الكلمة 'مقعد ذو أرجل' (siège).

وما زالت هناك بعض المعلومات عن تاريخ تحليل مكونات المعنى من المنظور البنيوي والذي كان مصدر إلهام لعلم الدلالة العرقي في أمريكا وعلم الدلالة البنيوي في أوروبا. ففي الواقع، يرتبط تحليل مكونات المعنى بالعملية التقليدية في صناعة المعاجم (lexicography)، حيث تعرف الكلمات بطريقة تحليلية عن طريق تقسيمها إلى عدد من المفاهيم الأساسية. ومن ثم فإن تعريف كلمة 'كبش' وهو 'ذكر الغنم' يستخدم السمة المميزة 'ذكر' لتميز هذه الكلمة عن الكلمات الأخرى في الحقل المعجمي الذي يحتوي على مفردات تشير إلى أنواع الغنم. ووفقاً لتقاليد الفلسفة الأرسطية (Aristotelian) والتومانية (Thomistic)، فإن هذه الطريقة في التعريف يمكن وصفها بأنها: "طريقة لتحديد الحقل الأساسي الذي تنتمي إليه الكلمة، إلى جانب

الصفات المحددة التي تميز هذه الكلمة عن الكلمات الأخرى في الحقل نفسه ". ويمكن صياغة هذه المقولة باستخدام مصطلحات بوتييه علي النحو التالي: "إنها طريقة لتحديد المؤصل الكلي مع السيمات المميزة".

ولم يقتصر دور بوتييه على المصطلحات، بل أضاف عدداً من المفاهيم الأشد تعلقا بالترابط السياقي (syntagmatic association) بين المفردات من تعلقها بمفاهيم الترابط التبادلي (paradigmatic association). أولاً: تتضمن كلمة (fonctèmes) وصف المعنى النحوي مثل تصنيف الكلمة. ثانياً: تتضمن كلمة (classèmes) قيوداً دلالية سياقية تفرض على الفعل؛ فالفعل 'يأكل' يشترط وجود فاعل من الكائنات الحية ومفعول به قابل للأكل (وذلك في أغلب التفسيرات لمعنى هذا الفعل). ثالثاً: تتعلق الكلمة (virtuèmes) بالمترابطات المعجمية ذات الطابع الاحتمالي. فعلى سبيل المثال، نري العبارة المركبة 'سيارة بيضاء' (voiture blanche) أشد احتمالية من العبارة 'سيارة قرمزية مخططة' (voiture rayée de vermillon) على الرغم من أنه ليس هنالك قاعدة نحوية تمنع وقوع العبارات المركبة كالعبارة المركبة الأخيرة. وتعد إضافة بوتييه لأنواع مختلفة من الترابط السياقي خطوة هامة مقارنةً بالمنهج الدلالي العرقي؛ لأن هذه العلاقات السياقية تلعب دوراً هاماً في التراكيب التوليدية لتحليل مكونات المعنى.

وقد تثير طريقة بوتييه في دراسة علم الدلالة تعجب علماء اللغة الذين يتبنون تفكير دي سوسير أو يلمسليف. أليست الكلمة (virtuèmes) والمتعلقة بالمترابطات المعجمية ذات الطابع الاحتمالي انعكاساً لتجربة متحدثي اللغة مع العالم المحيط بدلاً من كونها انعكاساً لبنية اللغة؟ لقد عرف بوتييه المقصود بـ (virtuèmes) على أنها "مترابطات متداخلة نابعة عن تجربة ما" (راجع كتابه المنشور سنة ١٩٦٤م: ص١٣٣).

فإذا كان التعبير اللغوي 'سيارة بيضاء' (voiture blanche) أشد احتمالية من التعبير 'سيارة قرمزية مخططة' (voiture rayée de vermillon)، أفلا يكون لدينا احتمالية أشد لمصادفة سيارات بيضاء من مصادفة سيارات قرمزية مخططة؟ ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن المدرسة البنيوية تهتم بتحديد بنية اللغة بوصفها

شيئاً مختلفاً عن معرفتنا الواسعة بالعالم المحيط. ويمكن أن نعزو خبرتنا بأنواع السيارات إلى خبرتنا بالعالم أكثر من معرفتنا باللغة. ولنتأمل الأمر جيداً؛ ألا يستند تحليل بوتييه للحقل المعجمي لكلمة 'مقعد ذو أرجل' (siege) على وصف المشار إليه؛ أي الأشياء الموجودة في العالم المحيط بدلاً من وصف البنية الدلالية؟

ويمكن أن نرى دراسة أوجينيو كوزيريو لنظرية الحقول المعجمية محاولة متعمدة ومنهجية لبيان تبعات المنهج البنيوي للمعنى، وكما ذكر كوزيريو سنة (١٩٦٦م)، فإن ثمة عنصرين رئيسين لهذه النظرية: أحدهما رسم حدود ثابتة للحقول المعجمية في علم الدلالة البنيوي، والآخر وضع إطار عمل لوصف العناصر المعجمية.

وترسم الحدود الثابتة للمفردات قيد الدراسة على هيئة سبعة فروق مميزة ومتتابعة؛ حيث يتم في كل خطوة رفض أحد هذه الفروق المميزة بوصفه فرقاً ليس له علاقة بمعنى هذه الكلمات: أولاً: قام كوزيريو (Coseriu) برسم الفروق بين الواقع غير اللغوي واللغة ذاتها، ثم رسم حدوداً للغة كما فعل مع المفردات قيد الدراسة. (وليس الموضوع بهذه البساطة، وسنتطرق لذلك لاحقاً). ثانياً: عندما نتحدث عن اللغة ينبغي لنا أن نستبعد اللغة الواصفة (metalanguage)؛ أي اللغة التي نستخدمها في تحليل لغة أخرى أو وصفها لمصلحة اللغة الهدف (object language). ثالثاً: تسبق الدراسة الوصفية للبنية (synchronic structure) في اللغة الهدف الأساسية (object language) الدراسة التاريخية (diachronic study) وهو ما يمكن أن نتوقعه في إطار العمل البنيوي. رابعاً: يجب أن تستبعد التعبيرات الثابتة كالأقوال المأثورة والأمثال من التحليل؛ لأنها تعد "خطاباً متكرراً"؛ أي أنها اقتباسات أكثر من كونها تعبيرات لغوية. خامساً: على الرغم من أن اللغات تأخذ صيغة لهجات لغوية متنوعة جغرافيا (diatopical)، واجتماعيا (diastratal)، وأسلوبيا (diaphatic)، فإن التحليل البنيوي ينبغي له أن يهتم بـ'اللغة الوظيفية' (functional language)، وهي اللغة الشائعة الخالية من الاختلافات المكانية واختلاف الطبقات الاجتماعية واختلاف الأسلوب. سادساً: أن مفردات اللغة الوظيفية هي النظام اللغوي الفعلي المنتج، وليست 'المعايير' (norms) أو الطرق الاجتماعية التقليدية المتعارف

عليها مما يسمي بالكلام والتي قد لا تكون مميزة وظيفياً. وأخيراً: فإن الهدف من التحليل الدلالي هو تحديد معنى الكلمة أو جوهرها، وليس تحديد ما تشير إليه؛ فقد يكون هناك تعبيران لغويان يشيران إلى شيء واحد، ولكنهما يختلفان في المعنى، كأن يُشار إلى القائد الفرنسي نابليون (Napoleon) بـ'نصر جينا' و 'هزيمة واترلو'– وهما معركتان خاضهما هذا القائد: انتصر في الأولى وهزم في الثانية.

وتعد بعض هذه الفروق المميزة التي وضعها كوزيريو (Coseriu) فروقا غريبة (فإذا كانت الأقوال المأثورة والأمثال "لغة متكررة"، أفلا يعد الاستخدام العادي للمفردات اللغوية أسلوبا لتكرار ما يسمعه الفرد وما يعرفه؟). ولتوضيح ذلك (ما 'المعيار' norm مقارنةً بـ'النظام' system ؟). والأهم من ذلك، أن عملية الرسم التدريجي للحدود والتي قام بها كوزيريو لا يمكن معها تطبيق المنهج البنيوي على المفردات اللغوية كلها. ولا يمكننا القول بأن ذلك نابع من استبعاد ما أسميناه "اللغة المتكررة" فقط، ولكنه ناتج أيضاً من استبعاد مجموعة المصطلحات، وهي المفردات المتخصصة في العلوم والتكنولوجيا. وبحسب كوزيريو، فإن هذه المفردات ما هي إلا 'تسميات' (nomenclatures) مباشرة لأشياء في الواقع. ومثل هذه 'التسميات' لا توضح لنا المتقابلات المميزة المتبادلة التي يهتم بها علم الدلالة البنيوي. وبشكل عام، فالنوع البنيوي الوحيد الذي يمكن تمييزه هو 'الإحصاء' (enumeration)، وهو بنية لغوية لا تندرج تحت المنظور البنيوي.

ويتشابه نظام كوزيريو في وصف العلاقات البنيوية تشابهاً كبيراً مع نظام بوتييه، حيث يهتم بالعلاقات السياقية والتبادلية. وتنقسم البنية التبادلية إلى بنية أساسية وبنية ثانوية. وتنقسم البنية الأساسية إلى حقول معجمية (وهي أساس علم الدلالة البنيوي) وإلى تصنيفات معجمية. ويمكن مقارنة هذه التصنيفات بتصنيفات بوتييه والتي أسماها 'كلاسيمات' (classèmes). أما البنية الثانوية فتتعلق بعمليات تكوين الكلمة. فمثلاً، تشتمل كلمة 'تطوير' (development) على علاقات بين عناصر أخرى مثل 'جميل' (beautiful) و 'جمال' (beauty). أما البنية السياقية (أو بالألمانية: lexikalische Solidaritäten) فتنقسم انقساما مختلفاً عن تقسيمات

بوتييه. ولا تهمنا هنا تفاصيل هذا الاختلاف، بل ما يهمنا هو معرفة كل ما يتعلق بالحقول المعجمية والقيود المنهجية المفروضة عليها. فتعريف 'الحقل المعجمي' هو تعريف مقيد يستبعد الحقول الأخرى ذات الصلة. ولايعترف كوزيريو بالحقول التي تتكون من عناصر معجمية متقابلة مثل 'صغير' و'كبير' و'نهار' و'ليل' و'ماء فاتر' و'ماء ساخن'، حيث تقوم هذه العناصر (باتجاه أحادي أو ثنائي) باستبعاد بعضها البعض. ويعد أي مفهوم للحقل المعجمي شبيه بمفهوم حقل 'الجمال' (beauté) في اللغة الفرنسية والذي شرحه وحلل عناصره العالم دوشيك (Ducháček) يعد مفهوماً مرفوضاً؛ لأنه مفهوم ترابطي بحت، فلا يوجد تقابل لغوي واضح بين عناصر هذا الحقل، إذ يمكننا وصف الأشياء بأنها 'ساحرة أو فاتنة' (féerique) أو أنها 'خلاّبة' (ensorcelant). علاوة على ذلك، فعندما نأتي إلى الوصف الفعلي للمتقابلات اللفظية مثل 'صغير' و 'كبير'، ينبغي لنا أن نتجنب الوصف الإشاري؛ فالأوصاف الواقعية المرتبطة بالعمر والتي تصف شخصاً بأنه 'كبير' أو 'صغير' هي أوصاف تصف العالم المحيط ولا تعد وصفاً للغة.

ولهذا المنهج بعض النتائج في علم الدلالة التاريخي (diachronic semantics). فتغير المعنى كما عرفه كوزيريو سنة (١٩٦٤م) هو تغير في نظام المتقابلات اللغوية التي تبني الحقل المعجمي. ولقد قام هذا العالم بالتمييز بين التغيرات المعجمية غير الوظيفية والتي لا تؤدي إلى تغير في بنية الحقل المعجمي والعلاقات الوظيفية التي تحدث عندما تتغير بنية الحقل المعجمي. ومن الأمثلة على التغيرات غير الوظيفية ما حدث في اللغة الفرنسية من استبدال الكلمة القديمة (ive) وتعني 'الفرس' أو 'أنثى الخيل' بالكلمة الحديثة (jument) والتي تحمل المعنى نفسه، وهذا الاستبدال في المسمي (onomasiological substitution) لا يؤثر فى تنظيم الحقل المعجمي. ومن الأمثلة على تغير البنية الأساسية تغير الكلمة الفرنسية القديمة (chef) والتي تعني 'رئيس' إلى الكلمة الحديثة (tête) والتي تعني حرفياً 'رأس'، لكنها تستخدم مجازياً للدلالة على 'رئيس' أو 'قائد جماعة من الناس'. وعندما ننظر إلى مثل هذه التنظيمات نظرة بنيوية، نستطيع أن نفرق بين ظهور المتقابلات الوظيفية واختفائها. ومن الأمثلة على

اختفاء المتقابلات الوظيفية الكلمة اللاتينية (niger) وتعني 'أسود لامع' ويقابلها كلمة (ater) أي 'أسود باهت'، حيث اندمجت كلتا الكلمتين في اللغة الفرنسية في كلمة واحدة وهي (noir) أي 'أسود'. ونستنتج من هذا الاندماج أن الفرق الوظيفي بين 'لامع' و 'باهت' قد اختفى من النظام اللغوي. كذلك الحال مع الكلمة اللاتينية (albus) وتعني 'أبيض باهت' و كلمة (candidus) أي 'أبيض لامع' أو 'أبيض ناصع'، حيث اندمجت كلتا الكلمتين في اللغة الفرنسية في كلمة واحدة وهي (blanc) أي 'أبيض'. وعلى العكس، فإن تطور الكلمة اللاتينية (chef) أي 'رئيس' هو أفضل مثال يشرح لنا ظهور المتقابلات البنيوية في اللغة.

ولقد أثارت الطريقة الصارمة التي طور بها كوزيريو نظرية الحقول المعجمية مسألة أساسية سنتطرق لها عندما نقيّم علم الدلالة البنيوي. فالتطبيق الصارم لنظرية دي سوسير بأن للغة بنية مفاهيمية غير شاملة خاصة بها، تطبيق له تبعاته: وهو التقليص الشديد لمجال النظرية الوصفي. ومن تبعات هذه النظرة البنيوية أيضاً أنه يجب علينا أن نكون قادرين على التمييز المبدئي بين معرفتنا بالعالم المحيط والمفاهيم اللغوية. ولكن إذا طبقنا الطريقة التي اقترحها كوزيريو فلن يتبقى لنا إلا تحديد المتقابلات اللغوية لعدد ضئيل من الوحدات المعجمية. ولكن هل ينبغي لعلم الدلالة المعجمي أن يكون علماً بنيوياً صرفاً، أم أن يكون علماً وصفياً مرتبطاً بالعلوم البنيوية؟ وهل يمكن توسيع دائرة المجال الوصفي للمنهج البنيوي لتضم مزيداً من العلاقات بدلاً من اقتصارها على المتقابلات اللغوية؟ في الواقع، إن هذا هو المسار الذي اتبعه المنهج الذي سنتحدث عنه في الجزء التالي.

وكما ذكرنا سابقاً، فقد لعب منهج تحليل مكونات المعنى الأوروبي دوراً محدودا في التطورات التي حدثت لعلم الدلالة المعجمي. ويرجع السبب في ذلك إلى أن مناهج العلماء الأوروبيين مثل بوتييه وكوزيريو لم تدخل المنتدى العالمي لعلم اللغة إلا بصعوبة، وذلك في النصف الأخير من القرن العشرين، حيث كانت التوجهات الأنجلو–ساكسونية مسيطرة على هذا المنتدى. أما في أمريكا، فقد حدث النقيض تماماً؛ حيث استفاد منهج تحليل مكونات المعنى الأمريكي من اندماجه في النظريات التحويلية. كذلك فلم تمنع هيمنة المنهج الأمريكي المنهج الأوروبي التقليدي من التطور.

ومن الأسماء البارزة في هذا المنهج الأوروبي التقليدي العالم كلاوس هيجر (Claus Heger) والذي نشر دراسته سنة ١٩٦٤م، وهورست جيكلر (Horst Geckeler) وله دراستان منشورتان سنة ١٩٧١م، وكورت بالدينجر (Kurt Baldinger) وله دراسه منشورة سنة ١٩٨٠م. وكما أشرنا من قبل، فإن لعلم الدلالة البنيوي الأوروبي تأثيراً واضحاً خارج نطاق علم اللغة من خلال أعمال جريماس والتي كان لها تأثيرها فى الدراسات الأدبية.

٤/٢- علم الدلالة العلائقي :

على الرغم من أن العالم جون ليونز (John Lyons) لم يذكر اسم العالم كوزيريو في دراساته، فإن تصوره لعلم الدلالة البنيوي (والذي تحدث عنه لأول مرة في كتابه "علم الدلالة البنيوي" Structuralist Semantics والمنشور سنة ١٩٦٣م) يعد امتداداً منهجياً وتطويراً لمقترح كوزيريو بضرورة التركيز على علم الدلالة بوصفه مجموعة من العلاقات المتقابلة. ولكن ما بالنا إذا عرَّفنا مجموعة العلاقات الدلالية المترابطة تعريفاً أوسع حتي تشمل الترادف اللغوي (synonymy)؟ مثل هذه العلاقات التي تربط كلمة بكلمة أخرى على أساس دلالي هي علاقات غير معروفة في علم الدلالة التقليدي. وتعد المعاجم أفضل مثال لشرح ذلك، حيث نجد معظم المعاجم تستخدم الأسلوب التقليدي في تعريف الكلمة، وذلك باستخدام الكلمات التي ترادفها أو تضادها في المعنى. ويتمحور المنهج الذي عرّفه ليونز نظرياً حول الأسلوب البنيوي؛ فبدلاً من تعريف الكلمة باستخدام مرادفاتها ومضاداتها اللغوية ووصفها وصفاً مستقلاً ومنفصلاً عن معناها، يمكن تحديد معنى الكلمة من خلال مجموعة علاقات المعنى التي تشترك فيها هذه الكلمة مع الكلمات الأخرى. والمفهوم التقليدي (أو البسيط) لمصطلح الترادف (أو التطابق اللغوي) يصف لنا معنى الكلمتين (quickly) و(speedily) وهما حال تصفان عمل شيء "بطريقة سريعة لا تستغرق وقتاً طويلاً"، ثم يؤكد لنا ترادفهما بناءً على تطابق محتوى هاتين الكلمتين. وعلى النقيض من ذلك، نجد أن ليونز يتحاشى عمداً وصف المحتوى، ويساوي بين معنى الكلمة ومعاني الكلمات المرادفة لها؛ أي أنه يساوى معنى كلمة (quickly) بكلمة (speedily). من ناحية أخري، فإنه يضع

بعين الاعتبار العلاقات الأخرى من هذا النوع بين الكلمات، حيث يقول في كتابه (المنشور سنة ١٩٦٣م: ص٥٩):

"يتراءى لي أن العديد من الصعوبات التي يواجهها علماء الدلالة عند دراسة علاقات المعاني مثل المترادفات والمتضادات [...] هي بسبب رؤيتهم 'للمعنى' قبل هذه العلاقات. نعم، ثمة علماء لغويون مثل ترير وفايسجربر قاموا بوضع نظرية لعلم الدلالة تنطوي على أولوية علاقات المعنى، ولكنهم [...] بتحديد إطار هذه النظرية بمحيط مفاهيمي مسبق أضعفوا حجتهم كثيراً. وأرى أن نظرية المعنى ستكون أعظم قوة إذا عُرِّفت الوحدة اللغوية بوصفها مجموعة العلاقات (التبادلية) التي تتميز بها هذه الوحدة عن الوحدات الأخرى في اللغة (في السياقات اللغوية التي تأتي فيها) دون أي محاولة لتكوين 'محتويات' لهذه الوحدات".

ويقول ليونز في دراسة أخرى أجراها بعد تلك الدراسة: إن "السؤال 'ما معنى x؟' [...] هو سؤال مختزل منهجياً في مجموعة من الأسئلة يرتبط بعضها ببعض: هل تقع علاقة المعنى السياقي R بين x وy؟ " (انظر كتاب الباحث المنشور سنة ١٩٦٨م: ص٤٤٤). ولقد قام ليونز باستخدام مصطلح 'علاقات المعنى السياقي' (sense relations) للتمييز بينها وبين 'علاقة المعنى' (meaning relation) في نص نظري محدد بالمفهوم الأوسع الذي يشترك فيه مع ترير وفايسجربر. و'المعنى' المأخوذ من الصيغة التقليدية الواسعة لوصف المحتوى ليس معنىً داخلياً في بنية اللغة (مثل 'المعنى السياقي' الذي اهتمت به النظرية البنيوية) بل هو معنى ينتمي إلى المستوى الإشاري، أو ما نسميه بالمستوى الشامل. ثم قام ليونز بعمل آخر (في العامين ١٩٧٧م و١٩٩٦م) ربط فيه الفرق بين 'المعنى السياقي' (sense) و'المعنى اللغوي' (meaning) بالفرق بين علم الدلالة (semantics) والتداولية (pragmatics). وتنص الفرضية التي وضعها على أن علم الدلالة يتناول جوانب المعنى المستقلة عن سياقها بوصفها جزءاً من البنية اللغوية، بينما يتناول علم التداولية المعنى القائم على السياق للتراكيب اللغوية والمنطوقات محددة السياق (ويذكرنا هذا التفريق بالفرق الذي رسمه العالم باول (Paul) بين الكلمتين الألمانيتين (okkasionelle) أي 'المعني

العارض' و(usuelle Bedeutung) أي 'المعني المألوف'. يستثني من هذا أن باول (Paul) لم يلمح إلي أن الكلمتين تنتميان إلى علمين فرعيين من علوم اللغة).

وفي حديثنا عن علم الدلالة العلائقي (relational semantics)، سننظر أولاً إلى علاقات المعني السياقي الرئيسة (major sense relation)، ثم نناقش عدداً من المسائل النظرية المتضمنة. وينبغي الإشارة إلى أن هذا الجزء يولي لعلم الدلالة العلائقي اهتماماً أقل نسبياً من اهتمام علم اللغة التمهيدي. ولقد اتجهت كتب علم اللغة في العقود القليلة الماضية إلى تقديم دراسة لمعنى الكلمة من خلال علاقات هذا المعنى. ولأن هذا الشرح ما هو إلا تصوير موجز ومبسط لما ذكرناه وما سنتطرق إليه عن علم الدلالة العلائقي، فإننا سنحاول أن نقدم وجهة نظر أشد توازناً.

١/٤/٢- علاقات المعني السياقي الرئيسة :

لنلقِ أولاً نظرة على علاقات المعنى السياقي (sense relations) التي ناقشناها بإسهاب، وهي الترادف (synonymy)، والاشتمال (hyponymy)، والتضاد (antonymy)، وعلاقة الجزء بالكل (meronymy). وسنعرض بإيجاز في هذا الجزء أكثر المصطلحات شيوعاً والمرتبطة بالمصطلحات المذكورة آنفاً، إلى جانب التصنيفات الثانوية للعلاقات المختلفة بين الكلمات. وتعد الدراسة التي قام بها آلن كروز (Alan Cruse) من أهم الدراسات التي تناولت علاقات الدلالة بعد الدراسة التي قام بها ليونز. ويعد كتاب كروز المنشور سنة (١٩٨٦م) بمثابة مرجع رئيس لما سنتاوله في الصفحات التالية. أما كتاب مورفي (Murphy) والمنشور سنة (٢٠٠٣م) فيعد كتاباً ناقداً بكل معنى الكلمة لذلك الكتاب الأخير ووضعه الحالي.

١) يشير مصطلحا الاشتمال (hyponymy) والاحتواء (hyperonymy) إلى علاقة التضمين الدلالي الذي يربط بين مصطلح عام مثل 'طائر' (bird) ومصطلح أكثر دقة مثل 'عصفور' (finch). ومن الناحية الاصطلاحية، فالكلمة العامة هي الاسم 'الشامل' (hyperonym) – وتسمى أحياناً 'الاسم الضمني' (hypernym)– أو المصطلح الفوقيّ (superordinate term). أما الكلمة الخاصة فتسمى 'الاسم المشمول' (hyponym) أو المصطلح الفرعي (subordinate term). وبذلك يمكن أن

نعرّف مصطلح التفرّع (ubordination) أو الاشتمال (hyponymy) بأنه العلاقة بين الاسم المشمول (hyponym) والاسم الشامل (hyperonym)، كما نعرّف الفوقية (superordination) أو الاحتواء (hyperonymy) بأنها العلاقة بين الاسم الشامل (hyperonym) والاسم المشمول (hyponym). ولقد تم تجاهل هذه العلاقة بين تلك المصطلحات وأصبحت تستخدم علي أنها مرادفات لمصطلح الاشتمال (hyponymy)، وذلك باستخدام المصطلحات التي وضعها ليونز سنة (١٩٦٣م)، وهي المصطلحات الأكثر شيوعاً. أما الكلمات المشمولة (hyponyms) والتي تندرج تحت اسم شامل واحد (hyperonym) فتسمى 'متواصلات' (co-hyponyms). وبناءً على ذلك، فإن طائر 'أبو الحناء' و طائر 'السنونو' و 'العصفور' هي متواصلات لكلمة 'طائر'؛ أي تندرج تحتها. وحريّ بنا أن نذكر أهمية المستوى عند حديثنا عن المتواصلات لأن الاشتمال يصف علاقات متعدية من مستوى إلي آخر. فإذا كان طائر 'القرقف' (tit) اسماً مشمولاً تحت كلمة 'طائر' (bird)، وطائر 'القرقب' (titmouse) و'الجشنة' (titlark) اسمان مشمولان تحت كلمة 'القرقف' (tit)، فإن 'القرقب' (titmouse) و'الجشنة' (titlark) اسمان مشمولان أيضاً تحت كلمة 'طائر' (bird). ولا يمكن أن نعتبرهما مشمولين تحت كلمة 'عصفور' (finch) والتي تقع في مستوى هرميّ مختلف من مستويات كلمة 'طائر' (bird). وربما وقعت الكلمة الواحدة في مستويات مختلفة من التصنيف الهرمي. فمثلاً، يمكن أن نقارن بين كلمة 'أسد' وكلمة 'نمر' على مستوى واحد، كما يمكننا مقارنتهما بكلمة 'لبؤة' ولكن على مستوى هرمي أقل. وبذلك يمكننا القول بأن كلمة 'أسد' كلمة تتسم 'بالشمول التلقائي' (auto-hyponymous). ويتضح لنا من هذا المثال أن الاشتمال لا يشرح العلاقات بين الكلمات بشكل عام، بل يشرحها بين الكلمات في نص محدد بعينه، مثله مثل الترادف (synonymy) والتضاد (antonymy).

وتسمى البنية الهرمية للأسماء المشمولة (hyponyms) والشاملة (hyperonyms) 'بالتصنيف الهرمي' (taxonomy). وقد قام بعض العلماء بالتمييز بين العلاقة 'النوعية أو الصنفية' والعلاقة 'المباشرة'؛ فقد ميز كروز سنة (١٩٨٦م)

بين التضمين التصنيفي الهرمي (taxonomies inclusion) والتضمين غير المصنف تصنيفياً هرمياً (non-taxonomical inclusion)، فالاسم 'نمر الجافان' (javan tiger) اسم يندرج تحت كلمة 'نمر'، و'لبؤة' اسم يندرج تحت كلمة 'أسد'. ويمكننا القول بأن 'نمر الجافان' هو نوع من أنواع النمور، ولكن لا يمكننا القول بأن 'لبؤة' نوع من أنواع الأسد. ويقترح كروز استخدام مصطلح 'التصنيف الهرمي' في الأمثلة الأولى والتي تتضمن تنظيماً هرمياً للأنواع والفصائل. وهذا الاستخدام المحدود لمصطلح 'التصنيف الهرمي' له علاقة بالتمييز الذي وضعه كروز.

وكما هو معلوم، فإن الأسماء الشاملة (hyperonyms) تلعب دورًا هامًا في وضع التعاريف. ولقد ذكرنا سابقاً أن المفهوم العلمي للتعريف يفترض اشتمال التعريف التحليلي (أي التعريف الذي يصف المفاهيم بحسب صفاتها المميزة أو سماتها الأساسية، أو بمقارنته بمعاني المفاهيم الأخرى المرادفة) على المصطلح الفوقيّ (superordinate term) للتصنيف والذي نعزو إليه الصفات التي تميز هذا المفهوم عن مفاهيم المتواصلات الأخرى (co-hyponyms).

وهذا النموذج للتعريف يبين لنا جلياً الأفكار الأساسية لمنهج تحليل مكونات المعنى. ويمكن تحديد أهمية تعريف مصطلح الاشتمال من خلال فحص أفكار مفهوم التضمين (inclusion)، كما يمكن النظر إلى علاقة التضمين (inclusion) المبنية على الاشتمال نظرة واسعة (extensional) أو مركزة (intensional)، بحيث يتغير الاسم الشامل أو المشمول وفقاً لذلك. فمن وجهة النظرة الواسعة: تتضمن مجموعة الطيور مجموعة من العصافير، ولذا يتضمن المجال الإشاري للمصطلح الأكثر عمومية مصطلحات أكثر دقة وخصوصية. أما من وجهة النظرة المركزة: فإن العلاقة عكسية، حيث يتضمن مفهوم كلمة 'عصفور' مفهوم كلمة 'طائر'، وهذا يعني أن العصفور هو طائر؛ ولذلك فإن جميع الصفات التي تستخدم لتعريف الطيور يجب أن تستخدم أيضاً في تعريف العصافير، لاسيما تلك الصفات التي تعرف كلمة 'عصفور' بأنه نوع من أنواع الطيور. من ثم، فإن تعريف المصطلح الأكثر عمومية يتضمنه تعريف المصطلح الأكثر دقة وخصوصية. ورغم ذلك، قد نلحظ أن نظريات التصنيف الحديثة غير

التقليدية (والتي سنناقشها في الجزء ١.٥) تجعل من هذه النقطة موضع شك. وإذا كان من المقبول في نظرية النموذج الرئيس (prototype theory) أن هذه التصنيفات لا تحتاج إلى تعريف باستخدام مجموعة الخصائص الضرورية والكافية، فإن تماثل المفهوم الواسع والمركز للاشتمال سيختفي. فعلى سبيل المثال، يعد 'البطريق' و 'طائر السنونو' من الكلمات المشمولة (hyponyms) تحت كلمة 'طائر'. ولكن إذا كان من المقبول أن يكون 'البطريق' و 'طائر السنونو' نوعين غير مميزين من الطيور (وهنا نتحدث عن مجموعة الخصائص الأساسية التي تعرف كلمة 'طائر')، فإن أنواع الطيور ذات الصلة بالبطريق سوف تختلف عن أنواع الطيور ذات الصلة بطائر السنونو؛ وذلك أن القدرة على الطيران ليست جزءاً من الخصائص الطبيعية التي تميز البطريق بأنه نوع من الطيور. وهذا يرجع إلى ما نسميه بمشكلة التوارث (inheritance): حيث ترث الكلمات المشمولة (hyponym) جميع الخصائص والسمات الخاصة بتصنيف الكلمة الشاملة (hyperoymical category) إذا كانت الكلمة الشاملة (hyperonym) معرفة بطريقة كلاسيكية فريدة من نوعها. ولكن ما السمات الموروثة إذا لم يعرّف التصنيف الفوقيّ (superordinate term) تعريفاً أساسياً تقليدياً؟

٢) الترادف (synonymy): وهو علاقة دلالية بين معاني الكلمة الواحدة أو بين الكلمات. وتتضمن العلاقة الأولى مقارنة الكلمة بتطبيقاتها اللغوية، في حين تتضمن العلاقة الثانية مقارنة المعاني المحددة للكلمات في جملة بعينها. وتكون العلاقة في كلتا الحالتين إما كلية (complete) أو جزئية (partial).

وإذا عرفنا مصطلح الترادف بأنه العلاقة بين الكلمات في سياق ما، فإنه يمكننا أن نقول بأن العنصرين اللغويين مترادفان إذا جاز إبدال أحدهما بالآخر في سياق معين، مع الاحتفاظ بالقيمة الدلالية الكاملة للتعبير اللغوي. ويجب أن تكون عملية الإبدال صالحة في كلا الاتجاهين؛ أي أن الكلمة المرادفة تحل محل الكلمة الأخرى والعكس صحيح، وبذلك نفرّق بين الترادف (synonymy) والاشتمال (hyponymy). ويمكننا القول بأن الجملة 'عُوقب فلان لقيادته السيارة بسرعة' قد تحل محل الجملة 'غُرم فلان لقيادته السيارة بسرعة'؛ لأن الغرامة نوع من العقاب. ولكن لا يمكن القول بأن

الجملة الثانية قد تحل محل الجملة الأولي؛ لأن العقوبة قد تكون بسحب رخصة القيادة أو بأي نوع آخر من أنواع العقاب. ويقع هذا الترادف الجزئي partial (synonymy) بين الكلمات في سياق ما إذا اختلفت العناصر البديلة في بعض جوانب معانيها. ويتضح ذلك عندما تكون الجوانب غير الدلالية للمعنى – كالجوانب الانفعالية أو الأسلوبية – هي الأساس، مع التسليم بأنه لا توجد هنالك كلمة تظهر الاختلافات الانفعالية أو الأسلوبية للمعنى. فكلمة 'فيلم' وكلمة 'صورة' كلمتان مترادفتان ترادفاً كاملاً (complete) إذا قصدنا المعنى التالي: "التمثيل السينمائي"، في السياق: هل رأيت آخر..... لكيت بلانشيت (Kate Blanchett)؟ وقد تكون هاتان الكلمتان مترادفتين ترادفاً جزئياً (Partial) في السياق نفسه إذا أخذنا في الاعتبار أن كلمة 'فيلم' أقل فصاحة من كلمة 'صورة'. وكذلك الحال مع الكلمتين 'كذّاب' و 'كاذب'، فهما صفتان لفعل مذموم. ولكن كلمة 'كذّاب' أشد وقعاً على النفس من كلمة 'كاذب'؛ لأن 'كذّاب' صفة بصيغة المبالغة وتدل على كثرة الكذب، أما 'كاذب' فهي صفة تطلق على من يقوم بهذا الفعل [1]. وتقع مثل هذه الاختلافات في المعنى الانفعالي أو الأسلوبي عادة في اللغة المتخصصة (specialized language)، إذ نجد أن مصطلح 'مرض اللوكيميا' (leukemia) من المصطلحات الطبية المتخصصة، والمصطلح الشائع والمتداول بين الناس لهذا المرض هو 'مرض سرطان الدم' (وهو مصطلح أكثر انفعالية من المصطلح المتخصص). كما تقع مثل هذه الاختلافات اللغوية بين الكلمات المتطابقة في المعنى والدلالة: فالكلمتان (underground) و(subway) تعنيان 'قطارات تحت الأرض'؛ و يكمن الفرق بينهما في أن الكلمة الأولى إنجليزية بريطانية والثانية إنجليزية أمريكية.

وإذا عرفنا الترادف بأنه العلاقة بين الكلمات، فإن الترادف الكلي يعني، أولاً' أن الكلمات المترادفة تحتوي على نطاق المعنى نفسه؛ وثانياً، أن هذه المترادفات قابلة لأن يحل بعضها محل بعض في جميع السياقات المتشابهة دون أن يتغير معنى الجملة. أما الترادف الجزئي فيعني أن المترادفات قد يحل بعضها محل بعض في إحدى معانيها

(1) هذا المثال الأخير من العربية لتوضيح الفكرة التي أرادها المؤلف بأمثلة أخري (المراجع).

اللغوية لا في الجميع، أو إذا كانت هذه المعاني مترادفة ترادفاً جزئياً كما شرحنا ذلك آنفاً. فعلى سبيل المثال إذا اشتركت كلمة 'صورة' وكلمة 'فيلم' في المعنى: "التمثيل السينمائي لقصة"، فإنهما لا تشتركان في المعنى: "صورة ملونة أو مرسومة". وهذا يشرح لنا سبب إمكانية استبدال كلمة 'فيلم' بكلمة 'صورة' في السياق: هل رأيت آخر..... لكيت بلانشيت؟ ولكن هذا الاستبدال بين هاتين الكلمتين لا يمكن أن يكون في السياق التالي: هذه هي..... المشهورة للدكتور جاشيه (Gachet) والتي رسمها الفنان فان جوخ (Van Gogh).

وتحدد المترادفات الجزئية مجموعة الكلمات شبه المترادفة (near-synonyms) مثل الدفن وإيداع الجثة في القبر، وتشييع الجنازة ودفن الإنسان، والطقوس والمراسم الخاصة بتشييع الجنازة، وكذلك السحر والفجر والشروق والبكور، وأيضاً الصباح والغدو وشروق الشمس وغروبها. ونجد أن هذه المترادفات 'متواصلات لغوية' (co-hyponyms). وإذا قلنا بأن مصطلح 'الدفن' هو مصطلح عام يشمل جميع طقوس إيداع جثث الموتى ودفنها تحت الأرض، فإن المصطلحات الأخرى هي متواصلات لغوية (co-hyponyms) لمصطلح 'الدفن'.

ويعتمد الترادف بين الكلمات على التعريف الأولي للترادف على المستوى الدلالي. وتطابق المعاني في بعض الأحيان لا يعنى ضمان عملية الإبدال والإحلال. ويحدث هذا غالباً في التعبيرات الاصطلاحية (idioms) والمصاحبات اللفظية (collocations)؛ وذلك أن نجد أن 'عظيم' و 'كبير' صفتان مترادفتان في إحدى معانيهما، فنقول 'أجر عظيم' و 'أجر كبير' و 'نصر عظيم' و 'نصر كبير'، ولكن لا نقول 'حجم عظيم' بل 'حجم كبير'. ونلحظ التقيد اللفظي في المثال الأخير؛ أي أن هنالك فروقا دلالية بين المصاحبات اللفظية المترادفة على مستوى المعنى: فكلمة 'أجر' و 'نصر' كلمتان مجردتان تشتملان على معنى 'المكافأة والفرح'، وهذا المعنى لا تحتويه كلمة 'حجم'. وفي حالات أخرى، تكون هذه القيود اللغوية اصطلاحية، فنقول: 'رفع الراية البيضاء'؛ أي 'خضع واستسلم'، ولا نقول 'رفع الراية الزرقاء'.

وغالباً ما تتسم عملية شرح الفروق الدقيقة بين الكلمات شبه المترادفة (near-synonyms) بعدم الوضوح. فما العلاقة الفعلية بين 'تشييع الجنازة' و 'الدفن'؟.

نجد أن 'الدفن' نوع من أنواع 'تشييع الجنازة'. ويمكن أن نستخدم مصطلح 'الدفن' مع الحيوانات أيضاً، في حين يقتصر 'تشييع الجنازة' على الجنس البشري. فهل مصطلح 'الدفن' مصطلح غير مشمول (hyponym) ولا يندرج تحت 'تشييع الجنازة'؟ وهل يجب علينا القول بأن 'الدفن' له معنيان: معنى خاص بالإنسان وآخر خاص بالحيوان؟ ولكن كيف نحدد ذلك؟ وكيف يختلف مصطلح 'الدفن' عن 'الشعائر الأخيرة' للجنازة؟ هل يختلفان في القيمة الأسلوبية؟ وهل يمكننا القول بأن 'الطقوس الأخيرة' هي السلوك الشعائري وأنها جزء من 'تشييع الجنازة'، بينما يشير 'الدفن' إلى عملية وضع الجسد الميت في القبر أو اللحد؟ وإذا كان هذا هو الوضع، أفلا توجد سياقات مختلفة تحدد الفرق بين تلك المصطلحات بحيادية، وبالطريقة ذاتها التي لاحظ فيها إردمان (Erdmann) أن بعض المحددات لمفهوم 'الألمانية' (German) ليس لها علاقات سياقية (انظر الجزء ١/٢/٣)؟ وباختصار، فإن تعريف الترادف يعتمد على تحليل مسبق لتعدد المعاني في المفردات اللغوية. وهناك عدة دلالات تبين أهمية تعدد المعاني (polysemy)، ولتفاصيل أوسع راجع الجزء ٢/١/٥.

٣) التضاد أو المعاني المتضادة (antonymy): وهو من أكثر مسائل العلاقات الدلالية دراسة وبحثاً، حيث تتنافس فيه التصنيفات اللغوية المختلفة والمقترحات الاصطلاحية. وليس هدفنا هنا أن نقارن بين هذه المقترحات، بل نسعى إلي تقديم بعض الأنواع الشائعة للمعاني المتضادة. (والتصنيف الآتي مبني على دراسة ليونز (Lyons) سنة ١٩٧٧م، ودراسة ليرر (Lehrer) سنة ٢٠٠٢م). ومن الأنواع المتميزة للتضاد: المتضادات الثنائية المتدرجة (binary gradable)، والمتضادات الثنائية الحادة أو غير المتدرجة (binary non-gradable) والمتضادات المتعددة (multiple antonyms). ويمكن التمييز بين أنواع أخرى داخل كل تصنيف من هذه التصنيفات.

وتقع المتضادات المتدرجة – مثل 'طويل' و 'قصير'– بين نهايتين لمقياس متدرج (gradable scale) يضم في وسطه عددا من المتضادات الداخلية؛ فالمقياس الذي يحتوي على الكلمتين المتضادتين 'حار' و 'بارد' تقع بين نهايتيه متضادات تعبر عن درجات متفاوتة من الحرارة والبرودة مثل: عال ومتجمد، دافئ ومعتدل)؛ كما يشتمل علي المتضادات التي يمكن أن نعبر عن درجاتها باستخدام التعبيرات اللغوية مثل

'بعض الشيء' أو 'جداً'. ويمكن أن نميز بين ثلاثة فئات فرعية من المتضادات المتدرجة؛ فالنوع الأول هو 'التضاد القطبي (polar antonymy)، ويتضمن الاستلزام المتناظر (symmetrical entailment) والوسم (markedness). ونقصد بالاستلزام المتناظر أن تكون لدينا كلمتان متضادتان، فيستلزم تأكيد معنى إحداهما نفي الأخرى: فالطول يدل على عدم القصر، والقصر يدل على عدم الطول. أما معيار الوسم (markedness) فيعني: أن أحد المصطلحات قد يستخدم محايدا غير ملتزم بالكلمتين المتضادتين والواقعتين على قطبي المقياس: فالسؤال: كم طوله؟ قد تكون إجابته: إنه قصير. وفي الثنائيات الاصطلاحية المتضادة، يمكن أن نجعل أحد المصطلحين من المتواصلات اللغوية. والنوع الثاني هو 'التضاد الملتزم' (committed antonyms). ويتضمن الاستلزام المتناظر، ولكنه لا يتضمن الوسم. ومن الأمثلة على هذا النوع الثنائيتان المتضادتان 'شرس' و 'حليم'. ولا نجعل أيا من هذين المصطلحين مصطلحاً فوقياً (superordinate). أما النوع الثالث فهو 'التضاد المتناظر' (asymmetrical antonyms) مثل جيد وسيء، وذكي وغبي، وصحيح وعليل. وهي مصطلحات غير موسومة، ولكنها تعبر عن معنى تقييمي يقيد هذا التناظر. وفى 'التضاد القطبي' يمكننا قول الجملتين: 'س أقصر من ص، لكن كليهما طويل' و 'س أطول من ص، لكن كليهما قصير'. أما في 'تضاد التناظر' فإن احتمالية الجملة الأولى سوف تلغي، فلا نستطيع أن نقول: 'س أسوأ من ص، لكن كليهما جيد' بل نقول: 'س أفضل من ص، لكن كليهما سيء'.

ومن الأمثلة على التضاد الحاد أو غير المتدرج (non-gradable antonyms) الثنائيتان المتضادتان 'الموت' و'الحياة'، وهي متضادات حادة تقع على نهايتي المقياس المتدرج، ولكن لا تحتوي على متضادات داخلية. ويشتمل هذا النوع من التضاد على ثلاثة أنواع فرعية: أولها هو 'التضاد المتكامل' (complementaries)، ويتكون من عناصر لغوية يستثنى بعضها بعضا استثناءً منطقياً دون وجود احتمال ثالث أو حالة تتوسطهما، مثل 'الموت' و'الحياة'. والنوع الثاني هو 'التضاد المنظوري' (perspectival opposition) أو 'العكسي' (converseness)، ويشتمل على مصطلحين متضادين بينهما علاقة إيجابية في المعنى؛ أي أن التنبؤ بأحد المصطلحين

يستلزم التنبؤ بالمصطلح الآخر (وكذلك الحال عند النفي). وتتضمن عملية التبوء بالمصطلح المتضاد تغيير منظور التركيب اللغوي للأحداث أو المواقف الفعلية المطابقة. فعملية التنبؤ بمن يكون 'الزوج' ومن تكون 'الزوجة' تستلزم ما يلي: إذا كان (أ) زوج (ب)، فإن (ب) زوجة (أ)؛ وإذا كان (أ) ليس زوج (ب)، فإن (ب) ليست زوجة (أ). وبالطريقة نفسها: إذا كان (أ) يبيع (ب) إلى (ج)، فإن (ج) قد يشتري (ب) من (أ). أما النوع الثالث فهو 'التضاد الاتجاهي' (directional opposition)، ويتضمن تراكيب لغوية مختلفة تشير إلى المكان. وبعض هذه التراكيب يدل على الثبات (static sense)، مثل: 'شمال' و 'جنوب'، 'فوق' و 'تحت'؛ بينما يدل بعضها على الديناميكية والحركة (dynamic sense)، مثل: 'يأتي' و'يذهب'. وفي الحالة الثانية يتم تحديد التوجه المكاني سواء أكان حرفياً كما في (يأتي/ يذهب)؛ أم مجازياً كما في (يسأل/ يجيب)، حيث يمكن تصوير ذلك بأنه رسالة واحدة تنتقل من شخص إلي آخر، بينما تنتقل رسالة أخرى للخلف. وكذلك الحال في (يولد/ يموت) حيث يكون الانتقال المجازي داخل الحياة وخارجها هو المعنى المقصود.

أما الأنواع المختلفة 'للمتضادات المتعددة' (multiple oppositions) فتصنف بحسب عدد الأبعاد الدلالية التي تتضمنها هذه المتضادات. ويعد 'المقياس' (scale) من أكثر أنواع المتضادات المتعددة شيوعاً. ويحتوي هذا النوع على بعد دلالي واحد فقط، فنجد في البعد الدلالي 'درجة الحرارة' الحالات التالية: حار/ دافئ/ فاتر/ معتدل/ بارد. ويتضح لنا بأن هذا النوع يمثل الشكل الكامل للمتضادات الثنائية المتدرجة، وأن البعد الدلالي الذي يتضمنه هو بعد متدرج (gradable). وتشير المصطلحات التي تصنف على أنها من هذا النوع إلى درجات مختلفة في البعد المتدرج (graded dimension). و'للرتب' (ranks) أيضاً بعد دلالي واحد، ولكنه غير مستمر وغير متدرج. ومن الأمثلة على ذلك مجموعة العناصر التي تدل على الرتب العسكرية (مثل: فريق أول، عقيد، رائد، نقيب، ملازم، ...ألخ). كذلك تعرف 'الدوائر' (مثل دوائر أيام الأسبوع وأشهر السنة) بعداً مفاهيمياً واحداً أيضاً (وهو الزمن)، ولكن هذا البعد لا يملك بنية قطبية ذات نهايتين (أي لا يوجد هنالك حدان مثل الحرارة والبرودة). وأخيراً، فالأمثلة التي تشرح 'التضاد المتعدد' (multiple

opposition) قد تكون متضادات اتجاهية (directional oppositions) حيث يتم دمج المتضادات الاتجاهية الثنائية في نظام معقد من الروابط (مثل: شمال/ جنوب/ شرق/ غرب)، أو أن تكون كذلك باعتبار الجسد الإنساني نقطة مرجعية (مثل: يسار/ يمين/ أمام/ خلف/ أعلى/ أسفل). ومعظم الأمثلة هنا هي أمثلة لما يعرف بـ 'التنافر' (incompatibility) وهو مصطلح عام نستخدمه هنا لتوضيح التباين بين العناصر المعجمية في الحقل الدلالي. وكما يتضح لنا من خلال الأمثلة التي ناقشناها في الجزء ٢/٢ والجزء ٣/٢ عن الحقول الدلالية، فإنه يمكن التمييز بين كلمات الحقل الدلالي وفق أبعاد متعددة. فعندما نريد التمييز بين 'نعجة' و'كبش' و 'حمل' فإن البعدين: العمري والنوعي ضروريان جداً في هذه الحالة. وينبغي لنا ملاحظة أن قوة التمييز الدلالي قد ضعفت كثيراً عندما وصلنا إلى هذا التصنيف: فالتضاد بين 'نعجة' و'كبش' و 'حمل' تضاد غير واضح مقارنة بالتضاد المتكامل (complementaries) والذي يقع بين الكلمتين 'غريب' و'مألوف'.

وتمشياً مع الافتراضات الأساسية لعلم الدلالة البنيوي العلائقي، يفترض أن يكون لهذا النوع من العلاقات بين المتضادات مفردات لغوية ثابتة لا تتغير، باعتبارها جزءا من بنية اللغة. ولكن كيف نتأكد من ذلك؟ يوضح العالم متنجر (Mettinger) سنة (١٩٩٤م) أن هنالك العديد من المتضادات 'غير المنهجية' (non-systematic) والتي لا ترسخ في الذهن كما ترسخ الأمثلة الواضحة حدسياً والتي ناقشناها قبل قليل، ولكن يمكنها أن ترسخ في الأذهان بتفعيلها وتنشيطها ووضعها في سياق نصي أو ظرفي؛ إذ يمكن مثلا التمييز بين 'شفهي' (oral) و 'شرجي' (rectal) في السياق الذي يشرح الطرق المستخدمة لقياس درجة حرارة الجسم، ولكن هل سيتم التعرف عليهما بوصفهما متضادات ثنائية (binary opposites) في سياقات أو مواقف أخرى غير متخصصة؟ يورد متنجر بعض الأمثلة من النصوص مثل: 'يعيش بدهائه' في مقابل 'يعيش بنظرته'، و 'منحة دراسية' في مقابل 'حياة المنزل'، و 'الرومانسية' في مقابل 'الواقع'، و 'الاستماع' في مقابل 'النظر'. ويعتمد فهم التضاد اللغوي في الأمثلة السابقة على المعرفة النصية الشاملة، وليس على المعرفة اللغوية البنيوية. ويمكن دعم سياقات النصوص التي تضم متضادات لغوية بالأخذ بعين الاعتبار أن المفهوم المعجمي

قد يدخل في علاقات مختلفة من التناقض بناءً على سياق بعينه في نص بعينه. ففي أمثلة متنجر، تتناقض 'الطبيعة' مع 'الفن' في سياق واحد، ومع 'الحضارة' في سياق آخر. (ولقد تم تطبيق أسلوب متنجر في النظر إلي الثنائيات المتضادة علي النحو الذي توجد به في الخطاب اللغوي على نطاق أوسع على يد العالم جونز (Jones) سنة (٢٠٠٢م)، والذي طبق المنهج القائم على المدونات مجموعة النصوص اللغوية (corpus-based) لتحديد الوظائف النصية للتضاد الدلالي).

٤) العلاقة التصنيفية الاشتمالية: وهي علاقة الجزء بالكل (meronymy). وتنشأ علاقة الجزء (meronymy) بالكل (holonymy) بين زوجين من الكلمات مثل 'ذراع' و 'مرفق'. فالذراع هو الكل (holonym) والمرفق هو الجزء (meronym). ويمكن تعريف هذه العلاقة بالعبارتين 'يملك' و 'جزء من' (فالذراع يحتوي على المرفق، والمرفق هو جزء من الذراع) بدلاً من تعريفها بأنها العلاقة التي تحدث في حالة الاشتمال (hyponymy) – مثل 'عصفور' و'طائر'. وبحسب الدراسة التحليلية التي قام بها ونستون (Winston) و شيفن (Chaffin) وهيرمان (Herrmann) سنة (١٩٨٧م)، فإن علاقة الجزء بالكل ليست وحدة واحدة، بل تتألف من أنواع فرعية عدة؛ كالعلاقة بين الأجزاء الملحقة والجزء الرئيس الذي تتبعه تلك الأجزاء (مثل: لوحة المفاتيح/ وجهاز الحاسب)، والعلاقة بين عضو والمجموعة التي ينتمي إليها (مثل: جندي/ جيش)، والعلاقة بين المادة والشيء المصنوع من هذه المادة (مثل: الخشب/ الباب)، و العلاقة بين الفعل الجزئي والنشاط العام لهذا الفعل (مثل: الدفع/ التسوق). (وهذا التنوع في العلاقات الجزء–كلية، أو علاقة الجزء بالكل، سيكون مبدأ أساسياً عند تحليل الكناية في الجزء ٣/٢/٥).

٢/٤/٢- قضايا نظرية :

إلى أي مدى يرقى المنهج العلائقي (relational method) إلي هدفه الصريح المتمثل في الاهتمام بالبنية الفعلية للمعنى؟ هذا السؤال هام من الناحية النظرية لأننا رأينا كيف يعطي المنهج العلائقي صورة مصغرة عن الحالة البنيوية لمستوى المعنى اللغوي المستقل. ومن جانب آخر، تحتاج نظرية الحقول المعجمية إلى استكمالها بإضافة

تحليل بديل عن العلاقة المفاهيمية بين عناصر الحقل المعجمي، باعتبار أن اهتمامها ينصب على الإدراك المباشر للمفهوم البنيوي للمعنى. ويمكن تحقيق ذلك بتحليل مكونات المعنى، ولكن هذا التحليل لا يميز بين وصف العلاقات الشاملة (encyclopedic relations) ووصف البنية اللغوية (الدلالية). وكما اقترح كوزيريو (Coseriu)، فإن التركيز على العلاقات المتضادة (oppositional relations) داخل الحقل المعجمي سوف ينتج أساليب وصفية أكثر تقييداً. لكن المنهج العلائقي هو الوحيد الذي يستطيع تطوير إطار العمل في هذا المجال. لذلك ما الشيء الذي نحتاجه حتى نجزم بنجاح المنهج العلائقي نجاحاً تاماً في إدراك الأهداف البنيوية؟ هنالك نقطتان أساسيتان للإجابة عن هذا السؤال.

أولاً: يجب أن تكون العلاقات السياقية للمعنى (sense relations) مستقلة منهجياً عن النوع الواسع من أنواع وصف المحتوى والذي أشار إليه العالم ليونز (Lyons). فإذا كانت العلاقات السياقية للمعنى تنتمي فعلياً إلي مستوى البنية اللغوية، وتم وضع وصف المحتوى الأوسع في مستوى موسوعي وتداولي، فإن بإمكاننا تأسيس علاقات سياقية للمعنى دون الحاجة إلي اللجوء إلي المستوى الآخر.

ثانياً: يجب أن تشكل العلاقات السياقية للمعنى مجموعة طبيعية لا تتضمن أي علاقات إشارية شاملة ومألوفة. فمثلاً العلاقة بين الفعلين 'يرتفع' و 'يرفع' هي علاقة سببية؛ فالفعل 'يرفع' سبب 'للارتفاع' وأن 'تجعل شيئاً يرتفع'. ونجد العلاقة نفسها بين 'المؤلف' و'الموسيقى' وهي علاقة السبب بالنتيجة، كما نجدها بين 'الطهي' و'الوجبة' وبين العديد من العناصر المعجمية الأخرى. ولا يُعرف هذا النوع من العلاقات السببية باسم 'العلاقات السياقية للمعنى'؛ لأن هذا النوع يشير إلى العلاقة بين الكيانات المرجعية المتضمنة بدلاً من العلاقات السياقية للمعنى. فعلى سبيل المثال، قد توجد العلاقة السببية بين 'إنسان بعينه' و'منتج ما' بدلاً من أن توجد بين كلمتين. وعلى العكس من ذلك، فإن علاقة الاشتمال (hyponymy) هي علاقة سياقية حقيقية للمعنى، حيث يمكن تعريفها وفقاً لمفهوم التضمين (inclusion) بين المعاني السياقية.

ولكن الفرق ليس جلياً علي النحو الذي يتطلبه ذلك الموقف البنيوي الحازم. ويرجع السبب إلى أنه يمكن إدراك علاقة الجزء بالكل (meronymy) على أنها علاقات للمعنى السياقي (sense relations)؛ حيث إن العلاقات الجزء– كلية كعلاقة 'اليد' و'الإصبع' هي علاقات ذات طبيعة شاملة (encyclopedic) ومرجعية (referential)؛ لأنها تربط بين الأشياء وليس بين المعاني السياقية. وعلى النقيض، لا يوجد اعتراض مبدئي على تعريف علاقات المعنى السياقي (بأنها "علاقة سببية"– causonymy) وهي العلاقات التي توجد بين معنى سياقي يشير إلى سبب أو مسبب وبين المعنى السياقي الذي يشير إلى النتيجة، وذلك كالمقابل غير اللغوي للعلاقة المرجعية التي تربط السبب أو المسبب بالنتيجة. ولن يساعد التكرار في ذلك أيضاً: فقد يقترح بعضهم أن تكون العلاقة الدلالية علاقة متكررة حتى يتم تصنيفها علي أنها علاقة حقيقية للمعنى السياقي، ولكن من المحتمل ألا تكون 'العلاقة السببية' أقل تكراراً من العلاقة بين الجزء والكل. إذاً، ما الذي يعوقنا عن إضافة علاقات مستترة وأكثر شمولية، وبذلك نقلص حجم نقطة بداية المنهج البنيوي؟

وعلاوة على ذلك، يوضح لنا هذا النقاش عن المتطلب الثاني المذكور آنفا أن هناك مشكلة مع المتطلب الأول أيضاً.

ومن المفترض أن تكون علاقات المعنى السياقي مستقلة عن وصف المحتوى (content description)، ولكن تحديد علاقة المعنى السياقي بأنها علاقة بين 'المعاني السياقية' فقط يفترض وجود نموذج من وصف المحتوى على المستوى الدلالي. ولما كان حديثنا عن الترادف اللغوي واضحاً، فإن التمييز بين الأنواع المختلفة لهذا الترادف يتطلب التمييز بين المعاني المختلفة للكلمات المترادفة. وقبل أن نطرح أسئلة عن الترادف، يجب الإجابة أولاً عن الأسئلة المتعلقة بتعدد معاني الكلمات (polysemy). وإذا كان الأسلوب الذي يؤيده العالم ليونز (Lyons) أسلوباً مناسباً، فإن الوضع قد يكون عكسياً تماماً. إلى جانب ذلك، ينبغي للحدس بعلاقات الترادف أن يكون قادرا على البت في مسائل تعدد المعاني. وسيكون حدسنا حينئذٍ بشأن الترادف بين 'الدفن' و'الشعائر الأخيرة' للجنازة هو الأساس المنهجي لتحديد كون

'الدفن' متعدد المعاني أم غير ذلك. ولكن ليس هنالك حدس واضح مرتبط بعلاقة الترادف بين هذين المصطلحين، لذا تحولت المسائل المتعلقة بالعلاقة الدلالية بين 'الدفن' و'الشعائر الأخيرة' للجنازة تحولا تلقائياً إلى مناقشة معنى هذين المصطلحين على مستوى 'وصف المحتوى' الذي يتجنب ليونز الخوض فيه. وبدلاً من الاستسلام لحدسنا عن الترادف، ينبغي لنا أن نبدأ في طرح المسائل عن السمات الوصفية للحدس المرجعي الشامل، مثل: إن كان الحدس يركز على الشعائر والطقوس من جانب وعلى عملية 'الدفن' ذاتها من جانب آخر. وإذا كانت أحكامنا عن الترادف تعتمد على مثل هذه القضايا الوصفية، فإن المزاعم المنهجية للنظرية العلائقية سوف تتبدد.

وبطرح أمثلة شبيهة بالأمثلة التي طرحها متنجر في شرح التضاد اللغوي غير المنهجي (non-systematic antonymy)، قد يتم استحداث تضاد المعنى استحداثاً سياقياً لمواجهة المعرفة الشاملة والظرفية، بدلاً من كونه سمة بنيوية ثابتة للمفردات اللغوية الذهنية (mental lexicon).

ونختم حديثنا بأن النظرية العلائقية لم تنجح فعلياً في تأسيس النموذج البنيوي؛ وذلك لسببين مرتبطين بالمعيارين المذكورين آنفاً. فالسبب الأول: أن علاقات المعنى السياقي لا تربط بين الكلمات ربطاً كاملاً، بل تربط بينها في معنى معين وسياقات معينة. ولأننا بحاجة إلى معايير أخرى أكثر من حاجتنا إلى علاقات المعنى السياقي نفسها لتأسيس ماهية هذه المعاني، فقد يصعب علينا القول بأن المنهج العلائقي قد يحل محل 'وصف المحتوى وصفا تقليديا مبنيا على علم معاني الكلمات' (traditional semasiological content description). ويستحسن أن نقول بأن هذا المنهج يعتمد على مثل هذا الوصف أو التحليل. ولقد ناقش مورفي (Murphy) سنة (٢٠٠٣م) هذه المسألة بالتفصيل بناءً على الفحص المستقل للعلاقات المتعددة للمعنى السياقي، وتوصل إلى نتيجة مقنعة مستنداً إلى المراجع والدراسات اللغوية النفسية عن العلاقات الدلالية. وقال بأن علاقات المعنى السياقي علاقات 'غير لغوية' (metalinguistic) بطبيعتها. كما قال بأن هذه العلاقات للمعنى السياقي لا تقوم على أساس معرفتنا بعلم دلالة الألفاظ (semantics of words)، بل إن معرفتنا بعلم

دلالة الألفاظ تقوم على أساس قدرتنا علي تحديد علاقات المعنى السياقي وتصنيفها (وفي هذه الحالات الخاصة نحتاج إلى الحكم على المترادفات اللغوية). ويكمن السبب الثاني في أنه: إذا كانت العلاقات؛ كعلاقة الجزء بالكل (meronymy)، مقبولة علي أنها علاقات حقيقية للمعنى السياقي (وهى علاقة مقبولة عند كبار العلماء الذين يعملون في إطار نموذج علاقات المعنى السياقي)، فسيصعب علينا أن نتجنب التفكير في العلاقات 'الشاملة' (encyclopedic relations) وسيصبح استقلال البنية الدلالية المنشود أمراً بعيد المنال.

وبشكل عام فإن النموذج البنيوي لتحديد المستوى اللغوي الخاص للبنية الدلالية لا يخلو من العيوب، فلا يوجد إطار واحد من أطر العمل البنيوي التي ناقشناها بمنأي عن الانتقاد الذي لا يفرق تفريقاً منهجيا بين المستوى اللغوي والمستوى التداولي/ الشامل. ولم تتقيد أبحاث علم الدلالة المعجمي المعاصر والتي تهتم بعلاقات المعنى بالمبدأ البنيوي.

٥/٢- ما بعد علم الدلالة البنيوي :

كان للتفكير البنيوي تأثير أساسي في علم الدلالة المعجمي؛ حيث تحوّل تركيز هذا العلم المحصور في التغير الدلالي (semantic change) إلى وصف الظواهر المتزامنة (synchronic phenomena). كما أحدث تغييراً في دراسات علم معاني الكلمات (semasiology) وصولاً إلى دراسات علم التعبير عن المعاني (onomasiological studies)، وكان له دور كبير أيضاً في القول بأن مفردات اللغة ليست مجرد حقيبة تحتوي على كلمات غير منظمة، بل هي عبارة عن شبكة من التعبيرات التي يرتبط بعضها ببعض بجميع أنواع الروابط الدلالية. ولم يكن الاهتمام بظواهر التعبير عن المعني غائباً تماماً عن علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي، حيث لا يمكن تعريف أي ظاهرة كظاهرة التغير الدلالي القياسي (analogical semantic change) ما لم نضع في الحسبان جميع المفردات، وليس كلمة واحدة فقط.

كما أننا لاحظنا أن الآليات المعجمية وآليات التعبير عن المعاني تميل إلي أن تكون ضمن تصنيفات التغير الدلالي. ولكن لم تكن هنالك دراسة منهجية للعلاقات المختلفة

التي تربط بين العناصر المعجمية حتى ظهور علم الدلالة البنيوي. ويعد وضع مصطلح يصف بنية التعبير عن المعاني (onomasiological structure) إنجازا رئيسا قويا لعلم الدلالة البنيوي. وفي الوقت نفسه، فإن دراستنا للأنواع المختلفة لعلم الدلالة البنيوي قد كشفت لنا عن وجود عدد من المشكلات التي سنتحدث عنها الآن بطريقة أكثر منهجية من ذي قبل. وسنتحدث بهذا الخصوص عن ثلاث نقاط، وهي: علاقة علم معاني الألفاظ بالمنهج البنيوي، واستقلالية البنية، وغياب علم التعبير عن المعاني المبني على الاستخدام (use-based onomasiology).

١. يقلل التنظير البنيوي من أهمية مستوى علم معاني الألفاظ (semasiological level)، حيث ينص المبدأ البنيوي على أن تحليل معاني الألفاظ هو تحليل غير ضروري. فإذا كانت التسمية قد استهلكت معنى العنصر المعجمي، فلم القلق من التحليل المنفصل لبنية الكلمة الداخلية؟ وإذا كانت بنية غلم التعبير عن المعاني بنية هامة لتأسيس المعنى، فإنه ينبغي لنا ألا نفصل الكلمة عن التأثيرات الدلالية فصلاً تاماً.

ومن السهل أن نرى سبب عدم استمرار مثل هذا المبدأ. فقد أشرنا في حديثنا عن المنهج العلائقي إلى أن تأسيس علاقات المعنى السياقي يعتمد منهجياً على تحليل تطور دلالات الألفاظ، وذكرنا بأنه من الصعب التمسك بوجهة النظر التي يؤيدها ليونز (Lyons)، والتي تتلخص في إمكانية تأسيس علاقات المعنى السياقي بغض النظر عن 'وصف المحتوى' (content description). وربما تكون نظرية الحقول المعجمية مصدر إلهام لاستنتاج مماثل. وإذا كان تعدد المعنى الناتج عن تطور دلالات الألفاظ أمراً ثانوياً بالنسبة للبنية الدالة علي المعني، فإن تعدد معنى الكلمة (polysemy) قد يكون بسبب انتماء هذه الكلمة إلي عدد من الحقول المعجمية وارتباطها بمعانٍ متعددة. ونلاحظ في حقل دوشيك (Duchâček) عن مفهوم 'الجمال' أن بعض الكلمات تنتمي إلي حقلين مختلفين وبمعنى واحد، مثل الكلمات التي تنتمي إلى حقل 'الجمال' و 'السحر' في آن واحد. وإذا كان ذلك صحيحاً، فإن انتماء الكلمة إلي حقول متعددة ليس معياراً أو قاعدة لتعدد المعنى، كما لا يمكن للدراسات التي تهتم بتعدد المعنى أن

تندمج بسهولة مع دراسات الحقول المعجمية والدراسات المتداخلة معها. ومن خلال تطبيق علم الدلالة البنيوي للغويات التاريخية (historical linguistics) تعالت الأصوات التي تنادي بأهمية المنظور الخاص بعلم معاني الألفاظ وتطورها إلى جانب المنظور الخاص بعلم التعبير عن المعاني. وكما أكد فون فارتبورج (Von Wartburg) سنة (١٩٣١م)، يجب توضيح سبب استبدال الكلمة الفرنسية (gat)– والتي وضعها الفرنسيون لتحل محل الكلمتين(gallus) بمعني 'الديك' و (cattus) بمعني 'القط'– بكلمة (bigey) وهي كلمة تدل على نوع من أنواع الطيور، إلى جانب توضيح علة كون كلمة (bigey) بمثابة البديل. ويجب أن نعطي تفسيراً دلالياً لاستخدام كلمة (bigey) بديلا لكلمة (gat) حتى يكون هذا الانتقال من الاستخدام الأصلي إلى الاستخدام الجديد مقبولاً. ويقترح فون فارتبورج أن في هذا الانتقال نوعا من الاستعارة الهزلية: حيث إن 'الكاهن' (vicaire, bigey) يلعب دوراً رئيساً في الأبرشية مثلما يترأس الديك الدجاج التابع له. وهناك دليل واضح على تكامل تحليل الحقول وتحليل تطور دلالات الألفاظ قدمه العالم بالدينجر (Baldinger) سنة (١٩٦٤م) بطريقة مقنعة جداً. ويظهر لنا في منهج تمثيل الحقول المعجمية والذي يذكرنا بالعالم دوشيك (Ducháček) كيف أن الكلمة (travail) وتعني 'عمل شاق' تشق طريقها مسمياتياً نحو مركز الحقل المعجمي لمفهوم 'العمل'، في حين يبدأ المعنى السياقي لكلمة 'العمل' في امتلاك موضع أكثر وضوحًا في البنية الدلالية للكلمة وعلى حساب المعاني الأصلية مثل 'المعاناة، والمشاكل، والأسى، والفقر'. ويستنتج بالدينجر أن علم الدلالة التتابعي أو التاريخي (diachronic semantics) لا ينبغي له أن يقوم حصرياً على المنهج الذي يدرس الكلمة وتطور دلالات الألفاظ ولا على المنهج المسمياتي الذي يدرس البنية.

ولكن على الرغم من تلك الاتجاهات، فإن اهتمام علم الدلالة البنيوي بمشكلة تعدد معاني الكلمات كان محدوداً. وكما رأينا عندما تحدثنا عن نايدا (Nida) ولونسبري (Lounsbury)، فإن عدداً من الباحثين (من بينهم جُوز (Joos) سنة ١٩٥٨م وهيجر (Heger) سنة ١٩٦٤م) تولوا مهمة نقل مصطلح علم وظائف الأصوات البنيوي (structuralist phonology) إلى علم الدلالة (semantics)، وتقديم مفهوم 'المتغير

السيمي' (alloseme) لإفساح المجال أمام تعدد المعنى. ولكن هذا الاهتمام بتعدد المعنى ظل اهتماماً اصطلاحياً إلى حد كبير، حيث لم يكن هنالك فحص للمبادئ التي تحكم تعدد المعنى الناتج عن تطور دلالات الألفاظ مثل الآليات الكنائية (metonymical) والاستعارية (metaphoric) والتي تحتل مكانة كبرى في علم الدلالة فقه اللغوي التاريخي. وفي الدراسات التي تقتصر على تبنى التفكير البنيوي، كدراسة اللغوي الهولندي أنطون رايشلنج (Antone Reichling) سنة (١٩٣٥م)، وجدنا محاولات لتحليل الآليات المرتبطة بالتماسك الداخلي للكلمات متعددة المعنى؛ فإذا كانت المعاني المعجمية المختلفة تشبه المتغيرات الصوتية (allophone)، فإن هنالك حاجة ملحة لتحديد الطريقة التي تنتمي إليها المتغيرات السيمية (allosemes) كلها، وهذا ما يسعى رايشلنج إلي تحقيقه. ولأن رايشلنج كان متأثراً بالمصطلحات الجشطالتية (Gestalt terms)، فنجده يؤكد أن المعاني المختلفة للكلمة تظهر تماسكاً داخلياً يمكن إدراكه؛ لأنها تمثل شيئاً واحداً؛ وهو دلالة الكلمة أو المعنى المعجمي لها. ويشرح رايشلنج هذه الفكرة بإعطاء مثال من اللغة الهولندية. فالكلمة (spel) أي 'لعبة' لها معان مختلفة لا تندرج تحت تعريف واحد ينطبق على جميع أنواع الألعاب. وتبدو لنا هذه المعاني أزواجا ثنائية متشابهة، ننظر إليها علي أنها مجموعة كاملة وكأنها وحدة متماسكة ومتلاحمة. ومن وجهة نظر تاريخية، فإن تحليل رايشلنج مثير للاهتمام لأنه تنبأ بعلم تطور دلالات الألفاظ القائم علي نموذج النمط الأول والذي سنناقشه في الجزء ٥/١ (مثله مثل الأعمال الأخرى التي تحدثنا عنها وتنبأت بذلك أيضاً). ومن ركائز علم دلالة النمط الأول الفكرة التي تنص على أنه يمكن للعناصر المعجمية أن تكون متماسكة لغوياً حتى وإن لم يكن لها معنى واحد محدد. ولكن الدراسات التي قام بها رايشلنج بقيت كما هي ولم تترجم، لذلك لم يكن لآرائه تأثير كبير فى المدرسة البنيوية.

وعموماً، فإن التركيز البنيوي على علم التعبير عن المعاني (onomasiology) كان سبباً في تهميش علم معاني الكلمات وتطورها (semasiology) ورميه في سلة مهملات الدراسات فقه اللغوية التاريخية. ولن نفاجأ حينما نرى لاحقاً أن التطورات

التي طرأت على علم الدلالة المعجمي بعد الفترة البنيوية قد تميزت باهتمام متجدد بمسألة تعدد المعنى.

٢. من الصعب الالتزام بالمعتقد البنيوي الذي ينص على أنه من الممكن تحديد البنية الدلالية للمستوى الداخلي للغة تحديداً كاملاً. وتتمثل هذه الصعوبة في مشكلة ترسيم الحدود (demarcation).

فإذا كان هناك فرق أساسي بين المعرفة الدلالية (semantic knowledge) بوصفها جزءا من اللغة والمعرفة المفاهيمية (conceptual knowledge) بوصفها جزءا من معرفتنا بالعالم الخارجي، فأين سنجد هذه الحدود؟ وكيف يكون من السهل رسم حدود واضحة حول البنى اللغوية التي تشكل المعرفة الدلالية وفقاً لوجهة النظر البنيوية؟ نستنتج من حديثنا عن الأنواع البنيوية المختلفة أن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست واضحة للعيان.

في إطار منهج الحقول المعجمية مثلاً، تبدو الحقول غير واضحة المعالم. وهذا الغموض لا يقتصر على الحقول فيما بينها (كما في تحليل الحقل المعجمي لمفهوم 'الجمال' الذي قام به العالم دوشيك– Ducháček)، بل هو غموض داخل الحقول نفسها). ومن الأمثلة على ذلك، المثال الذي شرحه العالم جيبر (Gipper) عن ترسيم الحدود المشتركة بين الكلمتين (Stuhl) وتعني 'كرسي' و (Sessel) أي 'كرسي مريح'. والآن لننظر إلى تأثير النتائج التي توصل إليها جيبر في تحليل مكونات المعنى من نوع بوتييه (Pottier-type): يبدو أن ما قدمه بوتييه ينطبق على الكلمات المحورية للحقول مثل (Stuhl) 'كرسي' و (Sessel) 'كرسي مريح'. ولكن إذا تم تضمين الكلمات المحيطة بهذه الكلمات المحورية، فإن تحليل مكونات المعنى سيصبح معقداً جداً، وسيعد هذا التحليل تحليلاً 'شاملاً' أو موسوعيا (encyclopedic)، وسيتضمن جميع الأنواع الممكنة من السمات الإشارية والوظيفية. وبحسب تحليل بوتييه (Pottier)، فإن 'الكرسي' هو مقعد لشخص واحد، به أرجل وظهر، وبدون مسند للذراع، مصنوع من مادة صلبة. والبنية الدلالية المميزة التي يمكن لتحليل بوتييه (Pottier) لمكونات المعنى أن يحددها لكلمة 'كرسي' (chaise) مبنية على هذه السمات.

ولكن قد نرى أشياءً نطلق عليها 'كرسي' (chaise) وتحمل سمات لا تتوافق مع مجموعة السمات التي حددها بوتييه، وهذا ما يقترحه جيبر عند تحليله للأنواع الفعلية للكراسي؛ فالمقعد الذي يكفي فرداً واحداً ويقوم على قاعدة صلبة بدلاً من الأرجل وتمتد من بداية المقعد إلى آخره، قد يطلق عليه اسم 'كرسي'. وكذلك الحال مع المقاعد التي لها مسند للذراع. وبذلك ستظهر لنا المشاكل تباعاً. ومن ناحية بنيوية، قد نقول بأنه يوجد في بعض الكراسي مسند للذراع، في حين تمتلك بعضها قاعدة صلبة بدلاً من الأرجل. إذا فالمسألة هنا مسألة معرفة شاملة (encyclopedic) والتي لا تحتاج أن تكون جزءاً من تحليل المعنى اللغوي. ولو افترضنا – من جانب آخر – أن وصف المعنى اللغوي يجب أن يناسب جميع الحالات التي يمكن أن تكون أمثلة للكلمة، فيجب ألا نستبعد السمات 'الشاملة' من هذا التحليل؛ وسيصبح التحليل بأكمله أقل وضوحاً وترتيباً من ذلك الذي يتضمنه مفهوم 'البنية' اللغوية.

وعلاوة على ذلك، قد يصاغ التباين بين مصطلحين اثنين في الحقل المعجمي بطرق مختلفة. فعندما تكون الأشياء التي يشير إليها هذان المصطلحان مشترك في بعض السمات، فإنه يصعب اختيار سمة من هذه السمات لتوصف بأنها سمة 'دلالية'. فعلى سبيل المثال، في التعريف الكلاسيكي الأرسطي (Aristotelian) للإنسان بأنه 'مخلوق يمتلك عقلاً' (أو حيوان عاقل[1]) يمكن أن نستبدل السمة المميزة 'عقلاني' (rational) بعدد من السمات التي توازيها في المعنى، ولكن يجب أن ننظر إلى هذه السمة على أنها سمة 'شاملة' إذا أعدنا صياغة هذا التعريف واعتبرناه تعريفاً دلالياً حقيقياً. وتعد بعض السمات، مثل: 'القدرة على الابتسام' أو 'كونه منتصب القدمين' أو 'امتلاك بنية عقلية أكثر تعقيداً'، سمات فريدة خاصة بالإنسان، وبهذه الطريقة يتم فصل المخلوقات عن بعضها. إذاً لماذا نجعل السمة 'يمتلك عقلاً' سمة دلالية (semantic)، و'كونه منتصب القدمين' سمة شاملة (encyclopedic)، وليس العكس؟ لمواجهة هذا الانجراف القوي نحو الوصف الشامل (encyclopedic description) والذي يتطلب التخلي عن فكرة البنية مرسومة الحدود والمعرفة تعريفاً

(1) تنويه من المترجم: يرفض الإسلام هذه الفكرة؛ لأن الله كرّم الإنسان وفضله عن بقية المخلوقات بنعمة العقل (المترجم).

جيداً، قد يتخذ علم الدلالة البنيوي مسارات مختلفة. أولاً: إذا ربطنا ماسبق مع الرأي الذي يتبناه ليونز، يمكننا القول حينئذٍ بأن الوصف الكامل للمحتوى (full content description) ليس ضرورياً، حيث توجد بنية لغوية داخلية، ولكنها لا تغطي جوانب وصف المعنى كافة. وقد نتغاضى عن الجوانب الإشارية لاستخدام الكلمات (مثل حقيقة أن الكراسي قد تحتوي على مسند للذراع وقد لا تحتوي ذلك) من أجل الجوانب العلائقية للمعني، والتي تشكل النوع اللغوي الحقيقي الوحيد للمعنى. ولكن ستظهر لنا مشكلة ترسيم الحدود حتى في هذه الحالة، إلى جانب مشكلة تضمين علاقة الجزء بالكل (inclusion of meronymy).

وحتى نوقف هذا التضمين لابد لنا أن نتبنى مبدأ صارماً، وإن لم نستطع فعل ذلك، فكيف بإمكاننا أن نتجنب النوع الوصفي الشامل؟ وعلى العكس من ذلك، لو افترضنا أنه يمكن إدراك هذا البرنامج الاختزالي، فكيف للنتائج أن تكون ذات صلة به؟ وتتلخص وجود العلاقات البنيوية والمتضادات اللغوية دون أي تحليل شامل للمحتوى (encyclopedic content analysis) في معرفة أن 'هنالك' كلمات معينة تختلف في المعنى، وليس في معرفة كيفية اختلاف بعضها الاختلاف "التام" عن البعض الآخر.

ثانياً: يمكن استعادة الوصف المنظم تنظيماً جيداً وبحدود واضحة بافتراض أن العقل مرتب، في حين أن العالم الخارجي غامض وغير مرتب. فنجد أن المصطلح الفرنسي (chaise) 'كرسي' والمصطلحين الألمانيين (Stuhl) 'كرسي' و(Sessel) 'كرسي مريح' مصطلحات محددة وواضحة الحدود والمعالم، ولكن تطبيقاتها في العالم الخارجي قد تكون مشوشة؛ وذلك لأن العالم الخارجي نفسه متنوع أكثر مما تسمح به تصوراتنا العقلية. وتؤيد العالمة آنا ويرزبيكا (Anna Wierzbika) هذا الرأي في منهجها الذي تتبناه وهو المنهج الدلالي الطبيعي غير اللغوي (Natural Semantic Metalanguage approach)، والذي سنتحدث عنه في الجزء ١,١,٤.

ثالثاً: قد يتنازل علم الدلالة البنيوي عن مبادئه ويصف بنية المفردات اللغوية دون المطالبة بدراسة المستوى اللغوي غير الشامل(linguistic, non-encyclopedic

level). ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الدراسة التي قام بها العالم جورج ماتوريه (Georges Matoré) والتي وصف فيها الحقول المعجمية من وجهة نظر تاريخية نفسية أو العكس؛ كما أنه وصف قدرة العقل البشري في فترات متعددة من التاريخ الاجتماعي، وذلك بتحليل المفردات الخاصة بتلك الفترات. وتمتلك بعض المفردات في حقب تاريخية معينة أهمية خاصة. ومن تلك المفردات كلمة (ésotérique)– وتعني 'مقصوراً على فئة معينة'– والتي تم تقديمها ضمن المفردات الفرنسية في عام (١٧٥٥م). وتعد هذه الكلمة علامة بارزة لبداية ردود أفعال المذهب الرومنسي (romanticist) تجاه المذهب العقلاني (rationalism) التي كانت في الفترة بين (١٨٢٠م) و (١٨٢٥م)، وهي فترة ميلاد النظام الجديد للتجارة والتوزيع. ويسمى هذا النوع من الكلمات 'كلمات مسيطرة'؛ لأنها كلمات تشهد تغيرات ذات أهمية خاصة في التاريخ الاجتماعي. ومن ناحية أخرى، هنالك كلمات مفتاحية أساسية لمعتقدات حقبة معينة وأعرافها. فخلال فترة الاستعادة مابعد النابوليونية (post-napoleonic restoration) في فرنسا، كانت كلمة (bourgeois)– وتعني 'البرجوازية'– كلمة مفتاحية تشير إلى أهمية اجتماعية أساسية تتمثل في قيم الطبقة الاجتماعية الوسطى المحافظة، وذلك بعد الثورة الفرنسية ونهاية الإمبريالية الفرنسية. ولكن مهما كانت التفاصيل، فإن معرفة 'الكلمات المفتاحية' و 'الكلمات المسيطرة' لا تهدف إلى الكشف عن البنية اللغوية، ولكنها تصور حقيقة تاريخية واجتماعية (وبلا شك شاملة – encyclopedic).

ونستنتج مما سبق أن المنهج الأساسي للمدرسة البنيوية لا يخلو من العيوب، وأن الفرق بين المستوى الدلالي (semantic) والشامل (encyclopedic) للوصف الدلالي ليس ثابتاً كما يعتقد البنيويون. ولكن، هل هذا يعني عدم وجود بنية لغوية محددة أيضاً؟ بالنظر إلى دراسة العالم فايسجربر مرة أخرى، سنرى أن الاهتمام الشديد بمعاني لغة محددة قد حفز تطور علم الدلالة البنيوي. إذاً، هل هذه العيوب والفروق بين التوصيفات الدلالية (semantic) والشاملة (encyclopedic) تدل على عدم وجود ظواهر دلالية تميز لغة عن غيرها؟ ليس ذلك بالضرورة، فمازال للغات بنيتها الخاصة

بالمعرفة الشاملة. وهذه المعرفة لا تتوافر في جميع اللغات. وفي الوقت نفسه، لا يمكن تحديد مدى تأثير النماذج الخاصة بالمعرفة الشاملة في المعرفة ذاتها في لغة ما بالنظر إلى اللغة وحدها.

٣. النقطة الأخيرة التي يجب أن نذكرها تتلخص في مفهوم علم التعبير عن المعاني الذي هو محط اهتمام علم الدلالة البنيوي. وبحسب المفهوم البنيوي عن هذا العلم فإنه يجب على أبحاث علم التعبير عن المعاني أن تهتم ببنية المفردات اللغوية. إن تجاوز القيود المفروضة على تطور دلالات الألفاظ في العصور الأولى لعلم الدلالة فقه اللغوي التاريخي كان على شكل مجموعة من الوحدات المعجمية بدلاً من العناصر المفردة. ولكن هل هذا هو كل ما يشمله علم التعبير عن المعاني (onomasiology)؟ لنلق نظرة أخرى على ما قاله العالم بالدينجر في كتابه المنشور سنة (١٩٨٠م: ص٢٧٨)، والذي ذكرناه في الجزء ٣/٢/١: "يستعرض علم معاني الألفاظ وتطورها [...] الكلمة المفردة والطريقة التي تظهر من خلالها معاني هذه الكلمة، في حين يستعرض علم التعبير عن المعاني تسميات مفاهيم بعينها؛ أي التعبيرات المتعددة التي تشكل وحدة واحدة". والوصفان اللذان ذكرهما بالدينجر لعلم معاني الألفاظ ليسا مترادفين تماماً. ومن جانب آخر، فإن دراسة "التعبيرات المتعددة والتي تشكل وحدة واحدة" تقودنا إلى المفهوم البنيوي عن علم التعبير عن المعاني (onomasiology) والذي تحدثنا عنه سابقاً؛ أي أنه يقود إلى دراسة التعبيرات المتصلة دلالياً – كما في نظرية الحقول المعجمية، أو دراسة المفردات اللغوية بوصفها علائقية من الكلمات المترابطة بروابط اشتمالية (hyponymous)، أو متضادة (antonymous)، أومترادفة (antonymous)، أوطبيعية (natural)، إلخ.

ومن جانب آخر، فإن دراسة "تسميات مفهوم بعينه يمهد الطريق لمفهوم تداولي سياقي لعلم التعبير عن المعاني يتضمن الخيارات الفعلية لاسم معين كتسمية مفهوم معين أو مرجع معين. ويمكن أن نساوي بين هذا الفرق والفرق بين تقصي البنية وتقصي الاستخدام، أو بين تقصي اللغة (langue) وتقصي الكلام (parole). ويتعامل المفهوم البنيوي مع مجموعة من التعبيرات التي يرتبط بعضها ببعض، ويطرح السؤال التالي:

ما العلاقات بين التعبيرات البديلة؟ بينما يتعامل المفهوم التداولي مع الخيارات الفعلية المنبثقة من هذا المفهوم داخل مجموعة من التعبيرات المترابطة، كما يطرح السؤال التالي: ما العوامل التي تحدد الخيار لبديل أو لأخر؟ لقد قدم لنا جيبر في دراسته مثالاً جيداً في شرح هذه المسألة: حيث شرح لنا تعدد استخدام كلمة (Stuhl) أي 'كرسي' و (Sessel) أي 'كرسي مريح' والتداخل الملحوظ بينهما (فعادة ما نطلق كلا المصطلحين على الأشياء نفسها، كما أن المتحدثين أنفسهم قد يطلقون هذين المصطلحين على الأشياء ذاتها). والسؤال الجدير بالذكر هنا ليس عن "الخط الدلالي الفاصل بين كلمة (Sessel) أي 'كرسي مريح' و (Stuhl) أي 'كرسي'"، بل عن "العوامل التي تحدد اختيار مصطلح بعينه لتسمية شيء محدد في العالم المحيط".

ويشكل هذا السؤال منظوراً له صلة وثيقة بعلم الدلالة البنيوي، بيد أن هذا العلم لا يبدي اهتماماً منهجياً بهذا السؤال؛ فهو سؤال يمكن فهمه، ويعطي تفضيلاً مبنياً على قواعد وضوابط تتقصي البنية بدلاً من تقصي الاستخدام. وإذا نظرنا الآن نظرة استباقية إلى التطور الذي أحرزه علم الدلالة المعجمي،فسنلاحظ أن غياب علم التعبير عن المعاني المبني على الاستخدام التداولي يعد أضعف نقطة من النقاط الثلاث الأساسية المذكورة هنا. وسوف نقوم بمناقشة حتمية تحليل دلالات الألفاظ، وصعوبة فصل المعرفة الشاملة (encyclopedic knowledge) عن المعرفة الدلالية (semantic knowledge) بشكل مباشر عندما نتحدث لاحقاً عن المناهج البحثية، لاسيما تلك المناهج المذكورة في الفصلين (٤) و(٥). وبالنسبة لعلم التعبير عن المعاني التداولي (pragmatic onomasiology) فلا يزال ينتظر المزيد من الاهتمام المنهجي.

مراجع إضافية للفصل الثاني :

نجد في دراسة العالم ليبسكي (Lepschy) سنة (١٩٧٠م) المقدمات العامة التي تتحدث عن الأنواع المختلفة للتفكير البنيوي في علم اللغة، وهي مقدمات غير موجهة لعلم الدلالة أو علم صناعة المعجم (lexicology) توجهاً مباشراً. وبعيداً عن المراجع الموجودة في الأعمال العامة التي ذكرناها في الفصل السابق، فهناك نظرات شاملة وواسعة (وأنواع مختلفة) لعلم الدلالة البنيوي، والتي توجد فصولا في أعمال موسّعة– في دراسة ليرر سنة (١٩٧٤م)، وكوزيريو وجيكلر (Coseriu and Geckeler) سنة (١٩٨١م)، وكاستوفيسكي (Kastovsky) سنة (١٩٨٢م)، وليبكا (Lipka) (٢٠٠٢م) وكولفاين (Kühlwein) سنة (٢٠٠٢م)، ومارفي (Murphy) سنة (٢٠٠٣م) وهناك مجموعة أخرى من الأبحاث المعاد طباعتها من التراث العلمي الألماني مثل دراسة العالم شميت (Schmidt) سنة (١٩٧٣م). ولتشكيل فكرة عن وضع علم الدلالة البنيوي في سياق تطور علم الدلالة المعجمي، من المفيد أن نتداول عدداً من المجلدات التي تحتوي على أبحاث قديمة وحديثة على حد سواء؛ فقد نجد في هذه المجلدات، مثل مجلد هولين وشولتز (Hüllen and Schulze) سنة (١٩٨٨م)، ومجلد ليهرر وكيتاي (Lehrer and Kittay) سنة (١٩٩٢م)، ومجلد لوتزير سنة (١٩٩٣م)، بعض النماذج لأبحاث في الحقول المعجمية، وتحليل مكونات المعنى، إلى جانب العمل المنبثق من (أو الذي يبحث في مواضيع) علم الدلالة المعرفي.

أما عن المقدمات الشاملة لنظرية الحقول المعجمية، فنجدها في أبحاث العالم أومان (Ohmann) في كتابيه المنشورين سنة (١٩٥١ م)، ودراسة العالم قادري (Quadri) سنة (١٩٥٢م)، وسبنس (Spence) سنة (١٩٦١م)، وهوبرج (Hoberg) سنة (١٩٧٠م)، وجيكلر (Geckeler) في كتابيه المنشورين سنة (١٩٧١م). وهنالك أيضاً الدراسات التي تعد باكورة الأبحاث العلمية في مجال الحقول المعجمية، ومنها الدراسة التي قام بها العالم ماير (Meyer) سنة (١٩١٠م) والتي تركز على مجموعات مرتبة من الكلمات كالرتب العسكرية، ودراسة العالم فويجت (Voigt) سنة (١٨٧٤م) والتي تظهر التأثير المنهجي للتغيير الدلالي الأولي لعنصر من عناصر المجموعة اللاتينية للمصطلحات القانونية في سائر المصطلحات الأخرى في الحقل نفسه.

وبجانب الدراسات المذكورة في القسم ١.٢.٢، فإن هنالك أعمالا شبيهة بالأعمال التي قام بها ترير (Trier) وفايسجربر، ومنها ما قام به إبسن سنة (١٩٣٢م) وجوليس سنة (١٩٣٤م) وبشتولد (Bechtoldt) سنة (١٩٣٥م)، وفايسجربر في كتابيه المنشورين سنة (١٩٦٢م). ولقد دُرست أعمال ترير (Trier) فقه اللغوية والتاريخية دراسة نقدية في أبحاث العالم روثويل (Rothwell) سنة (١٩٦٢م)، وبشكل أخص في أبحاث شايد فايلر (Scheidweiler) في كتابيه المنشورين سنة (١٩٤١م) وكتابه الثالث المنشور سنة (١٩٤٢م)؛ كما يحوي كتاب دورنزايف (Dornseiff) المنشور سنة (١٩٤٤م) مزيداً من المراجع.

ولقد ارتبط اسم دوشيك (Ducháček) وماتوريه (Matoré) بالمفهوم الضيق والمبهم للحقول الدلالية، حيث شرح دوشيك (Ducháček) هذا المفهوم شرحاً مفصلاً في أبحاثه التي أجراها في السنوات (١٩٦٠م–١٩٦١م–١٩٦٨م) وكذلك العالم ماتوريه (Matoré) في دراساته التي قام بها في السنوات (١٩٥١م–١٩٨٥م–١٩٨٨م). أما المفهوم الواسع للحقول الدلالية، فنجده في الدراسة التي قام بها العالم بالي (Bally) سنة (١٩٤٠م)؛ ونحن نحتاج إلي مثل هذه الدراسة كحاجتنا إلي مجموعة التعبيرات التي ترتبط عقلياً بروابط إشارية ودلالية بالكلمة الأصلية.

ولقد قام بورتسيج (Porzig) سنة (١٩٥٠م) بتحديد العلاقات الجوهرية التي ليس لها معنى كما في المجالات النحوية ومقارنتها بالعلاقات الموجودة في مجال الاقتران الضمني الذي اهتم به ترير وفايسجربر. ولكن هذا المنهج لا يعمل مع التوسع الوصفي الكبير. أما المنهج التوزيعي (distributional approach) الذي اقترحه العالم دوبوا (Dubois) فقد تم شرحه شرحاً وافياً في المجلدات النحوية التي ألفها في الفترة من (١٩٦٥م) إلى (١٩٦٩م). وأفضل الشروح المنهجية المفصلة للمنهج التوزيعي بغض النظر عن نظرية مجموعة النصوص اللغوية التقليدية والمستوحاة من العالم فيرث (Firth): راجع الجزء ٣.٢.٤– نجدها في الدراسة التي قام بها العالم الروسي أيبرسجن (Apresjan): انظر الترجمة الألمانية لكتابه الذي يتحدث فيه عن المنهج البنيوي والمنشور سنة (١٩٧١م)، وكذلك الترجمة الإنجليزية لمجموعة من مقالاته والتي نشرها

في كتاب سنة (٢٠٠٢م). ولمزيد من الأعمال الروسية في علم المفردات اللغوية، يمكن الرجوع إلى الترجمات التي قام بها العالم والسكي (Wolski) سنة (١٩٨٢م). أما أبحاث العالم فيرث (Firth) فقد قام هو بجمعها في كتابه المنشور سنة (١٩٥٧م)، كما نجدها أيضاً في كتاب العالم بالمر (Palmer) المنشور سنة (١٩٦٨م).

وبخصوص تأثير نظريات الحقول المعجمية والتفكير البنيوي في علم الدلالة التتابعي، ذكر العالم دوزات (Dauzat) سنة (١٩٢٢م) العديد من الأمثلة الشارحة لمشاكل مفهوم التماثل اللفظي (homonymy). ولقد لقى هذا المفهوم اهتماماً كبيراً، ولكن تم التعامل معه بحذر تام؛ لأن هنالك الكثير من الألفاظ الثنائية المتماثلة لفظياً (homonymic pairs) مازالت موجودة في اللغة من أجل دراستها دراسة وافية (انظر مثلاً: كتاب العالم دو لا كروز كابانيلاس – de la Cruz Cabanillas، سنة ١٩٩٩م). ومن المناهج المقنعة والتي تثبت فائدة منهج الحقول المعجمية في الدراسات التتابعية هو منهج ليرر (Lehrer) الذي نشر في العامين (١٩٧٨م–١٩٨٥م). وتبحث ليرر (Lehrer) فيما إذا كان هنالك انتظام في التوسع الدلالي (semantic extension) للحقول المعجمية، وتستنج أن علاقة العناصر المعجمية في حقل ما تخلق احتمالية حدوث تغيرات دلالية: فإذا خضعت مجموعة فرعية من العناصر في حقل معين للتوسع باتجاه حقل آخر، فإن بقية العناصر في الحقل الأول ستصبح عرضة للتوسع باتجاه الحقل الثاني أيضاً؛ وستبقى العلاقة الدلالية في الحقول كما هي، فالمترادفات (synonyms) ستبقى مترادفات (synonyms)، وستبقى المتضادات (antonyms) كلمات متضادة (antonyms)، وهكذا. ومع الأخذ بعين الاعتبار الجزء ١،٣،١، نستطيع أن نعيد صياغة ذلك كما يلي: إن دمج الكلمات في الحقول المعجمية يحدد مسارات التغير القياسي (analogical change).

ويجب أن نذكر عند هذه النقطة أيضاً تأثير الدراسات التي اهتمت بالحقول المعجمية في اثنين من التخصصات التي تقع في حدود علم اللغة النظري. أولاً: أن الأفكار البنيوية أدت إلى إعادة الاهتمام بصناعة المعاجم (lexicography) وتأليف معاجم للتعبير عن المعاني (onomasiological dictionaries)– أي كتباً مرجعية

تحتوي على كلمات مرتبة ترتيباً غير هجائي، بل ترتيباً دلالياً؛ أي على أساس العلاقة الدلالية بين الكلمات، كالموسوعات ومعاجم المترادفات والمتضادات. ولقد كان لمثل هذه المعاجم الخاصة بعلم التعبير (onomasiological dictionaries) باع طويل في علم صناعة المعاجم العملي (practical lexicography)– انظر كتاب هولين (Hüllen) سنة (١٩٩٩م)؛ ولقد لقى هذا النوع من المعاجم اهتماماً خاصاً في العصر البنيوي في علم صناعة المعجم النظري (theoretical lexicography)، حيث تم تأليف معاجم تضم مفردات مرتبة ترتيباً موضوعياً. ومن المشاريع الفعلية في تأليف المعاجم المشروع العملي الذي قام به دورنزايف (Dornseiff) سنة (١٩٥٩م)؛ ومن الأمثلة على الانعكاس النظري لعلم صناعة المعاجم الذي أثاره علم الدلالة البنيوي دراسة هاليك وفون فارتبورج (Halling and Von Wartburg) سنة (١٩٥٢م)، وجلينز (Glinz) سنة (١٩٥٤م)، وفون فارتبورج (Von Wartburg) سنة (١٩٥٧م)، وبالدينجر (Baldinger) سنة (١٠٦٠م).

ثانياً: لقد تم تطوير طريقة بناء مجموعات من الكلمات بحسب معناها الانفعالي (emotive meaning) بدلاً من معناها الإشاري (referential meaning) في سياق لغوي نفسي (psycholinguistic context) وفق تقنية 'أوسغود' للاختلاف الدلالي (Osgood's semantic differential technique)– راجع كتاب أوسغود وسوسي وتاننبوم (Osgood, Suci, and Tannenbaum) سنة (١٩٥٧م) وكتاب سيندر وأوسغود (Sinder and Osgood) سنة (١٩٦٩م). وتحدد موضوعات الاختلاف الدلالي قيمة الكلمة (أو الشيء، أو الإنسان) وفق مجموعة الصفات الثنائية المتضادة، مثل (دافئ/بارد) و (جميل/ قبيح) و (الخير/الشر). ويعطي موقع الكلمة في هذا المقياس التقديري فكرة عن القيمة الانفعالية للكلمة. وبتحليل تأثير الأنواع المختلفة للصفات الثنائية، توصل كل من أوسغود ومي وميرون (Osgood, May, and Miron) سنة (١٩٧٥م) إلى أن هنالك ثلاثة أنماط سلوكية أساسية تشكل ردود فعل الناس: في التقييم (جيد/ سيء)، وفي القوة (قوي/ ضعيف)، وفي النشاط (إيجابي/ سلبي).

ومن المقدمات المتطورة لتحليل مكونات المعنى المقدمة التي كتبها ليتش (Leech) سنة (١٩٧٤م)، والتي تتضمن مراجع لإدراج تحليل مكونات المعنى في النحو الشكلي

(formal grammar) والتي سنناقشها في الفصل التالي. وللحصول على مقدمة أكثر وصفاً، راجع كتاب نايدا (Nida) سنة (١٩٧٥م).

وبخلاف الأعمال التي تم ذكرها، فهنالك بعض الدراسات التي شرحت تحليل مكونات المعنى من النوع الدلالي العرقي (ethnosemantic type) شرحاً مفصلاً كالدراسة التي قام بها والانس وأتكينز (Wallance and Atkins) سنة (١٩٦٠م)، و فريك (Frake) سنة (١٩٦٢م)، وبورلنج (Burling) سنة (١٩٦٤م)، وكونكلين (Conklin) في العامين (١٩٦٢م–١٩٦٤م)، وأونسبري (Lounsbury) سنة (١٩٦٤م)، ورومني و دي أندريد (Romney and D'Andrade) سنة (١٩٦٤م). وهنالك كتابان تناولا تاريخ علم الإنسان المعرفي– أو الأنثروبولوجيا المعرفية– (cognitive anthropology) والدور الذي لعبه تحليل مكونات المعنى (componential analysis)، وهما: كتاب دي أندريد (D'Andrade) سنة (١٩٩٥م) وكتاب كرونفلد (Kronenfeld) سنة (١٩٩٦م). ومن اللافت للانتباه أن لكلا الكتابين ارتباطا بطرق بحث المرحلة ما بعد البنيوية، والتي تلعب دوراً أساسياً في علم الدلالة المعرفي، كما سنرى في الفصل الخامس: حيث يتناول كرونفلد (Kronenfeld) علم دلالة النمط (النموذج) الأول أو الرئيس (prototype semantics)– راجع الجزء ١.٥، في حين يؤكد دي أندريد (D'Andrade) الدور الذي تلعبه النماذج. ولمزيد من المعلومات حول دور النماذج، يمكنكم الرجوع إلى كتاب بالمر (Palmer) سنة (١٩٩٦م).

ونجد في علم اللغة تحليلا غير شكلي للحقول المعجمية إلى جانب العلاقات المعجمية التي تنحو منحى تحليل مكونات المعنى، وذلك في الدراسة التي قام بها ليزي (Leisi)، والتي انتهى منها سنة (١٩٥٢م) ونشرت رسمياً سنة (١٩٧٥م)، وفي دراسة أوكسار (Oksaar) سنة (١٩٥٨م). وتظهر العديد من المناهج العلمية في الدراسات التي قام بها كل من: إبلينج (Ebeling) سنة (١٩٦٠م)، ولامب (Lamb) سنة (١٩٦٤م)، وبندكيس (Bendix) سنة (١٩٦٦م)، وليبكا (Lipka) سنة (١٩٧٢م)، و وتجاك (Wotjak) سنة (١٩٧٧م)، إلى جانب الدراسات التي سنعرضها في الفصل

الثالث. ولم يحظ منهج تحليل مكونات المعنى الذي وصفه العالم بوتييه (Pottier) بأية أهمية في الدراسات الفرنسية التقليدية. كما أن دراسة بوتييه (Pottier) الأخيرة تميل إلي أن تكون دراسة نحوية أكثر من كونها معجمية – انظر كتاب بوتييه (Pottier) سنة (١٩٩٢م). (وهنالك وجهة نظر عامة عن تطور علم الدلالة — وليس علم الدلالة المعجمي تحديداً — في اللغة الفرنسية تحدث عنها لاريفي (Larrivée) سنة ٢٠٠٨م). ولتطبيق الإطار الجريماسي (Greimasian) — نسبة للعالم جريماس – على الدراسات الأدبية، انظر كتابي جريماس والمنشورين سنة (١٩٧٠م) و (١٩٨٣م)، و كتاب العالم كولر (Culler) سنة (١٩٧٥م) لمعرفة التطورات العامة التي طرأت على النظرية الأدبية البنيوية (structural literary theory).

وبالنسبة لمدرسة كوزيريو (Cosriu) – إضافة إلى المراجع المذكورة أعلاه – هنالك كتابا كوزيريو (Cosriu) والمنشوران في عامي (١٩٧٥م– ١٩٨٠م)، و كتابا جيكلر (Geckeler) والمنشوران في عامي (١٩٧٣م–١٩٨٨م). ولدراسات أخرى في هذا المجال، راجع جيكلر (Geckeler) سنة (١٩٩٣م). وعن الأسلوب العلائقي – بعيداً عن الأعمال التي قام بها ليونز (Lyons) وكروز (Cruse) ومورفي (Murphy) المذكورة في هذا الكتاب – يمكنكم معرفة النظرة العامة للعلاقات المعجمية بالرجوع إلى الدراسة التي قام بها إيفنز (Evens) وليتويتز (Litowitz) ماركوفيتز (Markowitz) وسميث (Smith) وفرنر (Werner) سنة (١٩٨٠م). كما تقصى العالم لوتزاير (Lutzeier) في دراسته المنشورة سنة (١٩٨١م) العلاقات بين نظرية الحقول المعجمية وعلم الدلالة العلائقي.